روايات مصرية للجيب
د. أحمد خالد توفيق
42
سافاري
هُمْ!
Looloo
www.dvd4arab.com

مقدمة

اسمى (علاء عبد العظيم) .. طبيب مصرى شاب يجاهد - كما يقول الغلاف - كى يبقى حيًا ويبقى طبيبًا ..

وحدة (سافارى) هى البطل الحقيقى لهذه القصص ، و(سافارى) مصطلح غربى معناه (صيد الوحوش فى أدغال أفريقيا) وهو محرف عن لفظة (سفرية) العربية ..

لاحظت أن أكثر الأصدقاء يضيفون حرف ألف بين الراء والياء لتتحول الكلمة إلى (سافاراى) .. لا أعرف فى الحقيقة سبب هذا الخطأ ، لكنه خطأ شائع شبيه بتلك الألف الشيطانية التى يكتبها الجميع بعد (واو) ليست (واو جماعة) على غرار (أرجوا الهدوء) . ولو كنت ترغب فى معرفة النطق الغربى للفظة (سافارى) فلتتخيل أنها (صفرى) بفتح الصاد والفاء ..

وحدة (سافارى) التى نتكلم عنها هنا لا تصطاد الوحوش ولكنها تصطاد المرض فى القارة السوداء ، وسط اضطرابات سياسية لا تنتهى وأهال متشككين وبيئة لا ترحم ..

الوحدة دولية لكن بطلكم الفقير المعترف بالعجز والتقصير شاب مصرى عادى جدًا ، فقط وجد كثيرًا من عوامل الطرد فى وطنه فانطلق يبحث عن فرصة فى القارة السوداء .. انطلق يبحث عن ذاته ..

هناك وجد التقدير .. وجد المغامرة .. وجد الحب .. الطبيبة الكندية الرقيقة (برنادت جونز) التى صارت زوجته .. ثم هناك الفيروسات القاتلة والقبائل المعادية والمرتزقة الذين لايمزحون ، والعلماء المخابيل وسارقى الأعضاء ..

هناك ـ كما قلنا ـ من العسير أن تجمع بين شيئين : أن تظل حيًا وتظل طبيبًا .. لكنك تحاول .. فى كل يوم تحاول ..

هذه المحاولات هى ما أجمعه لكم وأقصه لكم فى شكل قصص .. وقصصى هى خليط عجيب من الطب والميتافيزيقا والرعب والعواطف والسياسة ! لا أعرف إن كان هناك مجنون آخر قد جرب أن يصب هذا الخليط فى كئوس ويقدمها لكم ، لكنى لم ألق هذا المجنون بعد إلا فى مرآتى ..

تعالوا نبدأ وسنفهم كل شىء ..

* * *

- 1 -

من مذكرات د. (علاء عبد العظيم) :

اليوم تبدأ إجازتى فى مصر ، وهى إجازة انتظرتها طويلاً وبحنين متزايد .. فترة طالت حقًا ذهبت فيها إلى جنوب أفريقيا وحدى حيث كالعادة كانت المتاعب تنتظرنى .. ثم عدت إلى (سافارى) الأصلية فلم تكن حياتى ترفًا متواصلاً ..

ولقد تلقيت وعدًا بمجرد الانتهاء من التحقيق فى قضية سيد الجينات إياها أن تبدأ إجازتى .. الحق إننى تحملت الكثير .. أنا مُرهق وقد أهملت زوجتى لفترة لا بأس بها ..

حان الوقت للعودة إلى مصر .. لو كانت خطاباتهم دقيقة فكل شىء على ما يرام . هناك المشاجرة الأخيرة بين أخى وزوجته ، لكنهم سيصغون لى وأنا أحاول إصلاح الطرفين .. إن الطبيب العائد من أفريقيا له هيبة معينة كأنه كبير الأسرة .. أمى بخير برغم داء السكرى اللعين ، وأشرف بخير .. عفاف حامل فى الأشهر الأخيرة .. فيما عدا ذلك لا توجد مشاكل خاصة . صحيح أن الأوضاع الاقتصادية خانقة والغلاء يجثم على النفوس ، لكننى رأيت فى أفريقيا ما هو أسوأ بمراحل .. لهذا أعتقد أننى سأتحمل هذا الجزء الأخير ..

سوف أدخل السينما كالعادة .. لن تكون دار سينما أنيقة مكيفة من التى تملأ قاعات الملتيبلكس فى المراكز التجارية ، لكننى سأختار سينما خانقة حارة يتبادلون فيها السباب والصفير ويقذفون بعضهم بالسجائر .. سوف أحضر مباراة للأهلى كالعادة .. وسوف آكل (أرز باللبن) من عند ذلك الرجل فى الحسين ، وأعتقد أننى لن أصاب بالسالمونلا هذه المرة .. سوف ألتهم أطناناً من الفول والطعمية والكشرى ولحم الرأس .. نعم .. لقد عدت إلى مصر كى أشعر بأننى مصرى جداً ولم أعد كى أقلد الغربيين ..

سوف تكون أياماً سارة ما لم تلاحقنى هوايتى لاجتذاب المتاعب . أعرف أن المشكلة الحقيقية ستبدأ بعد ثلاثة أسابيع عندما أذهب إلى كندا .. للمرة الأولى أقابل أهل زوجتى .. هذا كابوس حقيقى كما تعرف ..

لكن الحياة تمضى ..

سوف أنتظر تلك اللحظات فى قلق ، ثم أتذكرها فى شىء من السخرية أو الندم أو الحنين .. محطة قطار سوف نعبرها أردنا أو لم نرد ما دمنا أحياء .. ترى معالم المحطة وتشم رائحة المكان وترى الوجوه ثم يتلاشى هذا بسرعة البرق ويصير ذكرى ..

فلننعم بكل لحظة نعيشها ولا ننتظر رحيلها ..

* * *

مقال فى مجلة شباب اليوم :

تجربة الزواج من أجنبية تثير خيال الكثيرين من الشباب المصرى . هل الأجنبية قادرة على فهمك ومشاركتك حياتك وعاداتك ؟ هل الأمر حقيقى أم إنها عقدة الخواجة والحلم بالسيطرة على واحدة من جنس نميل إلى اعتباره متفوقًا ؟.. وهذا بالتالى يذكرنا بعقدة قهر الأنثى الغربية عوضًا عن التفوق العلمى والحضارى .. باختصار (موسم الهجرة إلى الشمال) تحفة الأديب العظيم (الطيب صالح) .

حاملين هذه الأسئلة ، قابلنا بعض نماذج الشباب العائد إلى مصر ومعه زوجة أو زوج أجنبى .. كان لقاؤنا الأول مع طبيب شاب هو (علاء عبد العظيم) . هو طبيب يعمل فى الكاميرون فى إحدى الهيئات الطبية العالمية ، وزوجته كندية تعمل معه فى ذات الوحدة . عندما تقابلها تجدها رقيقة جدًا ودائمة الابتسام ، وقد تخصصت فى طب الأطفال لأنها لا تطيق الابتعاد عنهم ، لكنهما لم يرزقا بالذرية بعد ..

سألنا د. علاء عما إذا كان سعيدًا فى حياته فقال :

ـ « هناك عقدة لدى كل إنسان يقدم على اختيار مصيرى ، هى أنه يتظاهر بالسعادة لأنه يخشى الشماتة أو أن يقال إن اختياره خطأ .. »

● هل يعنى هذا أنك لست سعيداً ؟

ـ « لا يعنى أى شىء سوى ما قلته .. لا يمكن أن تسأل شخصًا عن صحة قراره المصيرى .. سيؤكد لك أنه كان عبقريًا .. عندما يبتاع المرء سيارة جديدة يكلم كل الناس عن مزاياها ، ثم يبيعها فيبدأ فى ذكر مثالبها وكيف كانت خشنة القيادة تبدد الوقود .. إلخ .. »

● لم تجب عن سؤالى .

ـ « أعتبر نفسى سعيد الحظ جدًا .. إن زوجتى عينة من أرقى ما وصلت له الحضارة الغربية ، فقد جمعت فى شخصها ما هو جميل أو نبيل أو راق أو متحضر ، بينما لم تأخذ شيئًا من التعصب والعنصرية والغرور .. كأنهم اختاروها سفيرة لبلادهم كى لا نقابل الأوغاد والسفاحين وقتلة الأطفال ومصاصى الدماء منهم .. »

● لم تحدث بينكما خلافات تتعلق بصراع الحضارات ؟

ـ « حتى هذه اللحظة هى مفتونة باختلاف ثقافتى لهذا تحرص على أن أظل مختلفًا .. كلما اقتربت من أسلوبها فى الحياة شعرت هى بأننى واحد آخر من أبناء جلدتها لا يميزه شىء .. باختصار : الميزة الوحيدة لى عندها هى كونى عربيًا ، فلو فقدت هذه الميزة لفقدت أى تميز فى عينيها .. »

● هل زواجكما عن حب ؟

ـ « حب عميق من ناحيتى على الأقل .. لو كانت الأمور تقاس بالآلة الحاسبة فأنا الرابح الأكبر من هذه الصفقة .. »

● هل تزوجتها لأنها أجنبية ؟.. هل لعبت عقدة الخواجة أى دور فى هذا الاختيار ؟

ـ « تزوجتها لأنها هى أولاً .. ثم لأنها كانت موجودة ! .. يصعب على المرء أن يتزوجها وهى فى كندا .. باختصار لم أختر شيئًا عن عمد ولا أنصح أى واحد بأى شىء .. كانت هناك فتاة تعجبنى جدًا وكانت تعمل معى ، وتصادف أن هذه الفتاة أجنبية .. لو كانت من قبائل الزولو لفعلت الشىء ذاته .. »

قالها وبدا عليه نوع من الارتباك لم أفهم سببه .

عرفت منه أنه سيقيم لبضعة أيام فى مصر ليرى أسرته ويطمئن على كل شىء ، وبعد هذا سوف يرحل مع زوجته إلى كندا حيث يراه أهلها للمرة الأولى . هل لديه نية للعودة والاستقرار فى مصر ؟ للأسف لا .. لقد ترتبت حياته كلها على الخارج، أو على حد قوله لم تعد لديه حياة هنا . هناك عمله وزوجته وأصدقاؤه الجدد ثم إنه يشعر بأن مصر صارت على حد قوله أيضًا أكبر جهاز طرد مركزى لأبنائها . يتطاير صغار السن والشأن خارجًا بينما يبقى الأثرياء ذوو النفوذ .

- « لو بقيت هنا لصرت مجرد طبيب فى وحدة صحية يحاول أن يتماسك أمام الضغوط الاقتصادية ثم ينهار يومًا ما .. بينما هناك وجدت ذاتى ووجدت الحب .. أتعلم كل يوم شيئًا جديدًا أو خبرة جديدة . يشيرون لى ويقولون : الطبيب المصرى فعل .. الطبيب المصرى قال .. الطبيب المصرى كذا .. إننى أقدم لمصر وأنا خارجها أكثر بكثير مما كنت سأقدمه وأنا فيها .. »

وجهت له عبارات الشكر ، وانتقلت إلى سؤال شاب مصرى آخر عائد مع زوجته السويدية .. إنه المهندس ....

* * *

من ألبوم صور علاء عبد العظيم :

ـ برنادت مع خالتى وقد أحاطت كل واحدة منهما عنق تمثال من تماثيل (طريق الكباش) . أى إننا خارج معبد الكرنك.

ـ برنادت فى البحر بثيابها الكاملة على الطريقة المصرية . كانت ترغب فى ارتداء المايوه لكنها تعرف عاداتى ، وقد قالت لى إننى ذكر شرقى دكتاتور ، لكنها ستطيعنى على كل حال .

ـ برنادت على باب الأوبرا بعد حفل (عمر خيرت) . طبعًا واضح أنها دامعة العينين من التأثر .

ـ برنادت تشرب الشاى بالنعناع مع عمى فى المزرعة التى يملكها فى الإسماعيلية .

- برنادت فى مركب نيلى . هذا الذى فى يدها كوز من الذرة طبعًا .. فهى لم تنتزع حلقى .

- برنادت تصطاد السمك .. إنها أسوأ صياد سمك عرفته فى حياتى ، لكنها كذلك أجمل صياد .

* * *

- 2 -

أمي العزيزة :

توقفت عن الترحال في مصر ، بعد ما رأيت كل شيء تقريبًا أو أقنعت نفسي بهذا .. هذا بلد عجيب .. ثمة لحظات تشعرين فيها بأنك تمشين في عصر الفراعنة وأن موكب كليوباترا سيمر أمامك في أية لحظة . لحظات أخرى تشعرين فيها بأنك في عصور الرهبان الذين يعيشون في الصحراء .. جو (تاييس) بالضبط .. يمكن أن يأتي الرومان في أية لحظة ليعتقلوا المؤمنين بالدين الجديد ليلقوا بهم للأسود .. هناك أماكن في القاهرة تشعرين فيها بأنك ترين جنود المماليك وترين جنود (نابليون بونابرت) .. ثمة أماكن توشكين فيها على رؤية الجنود المسلمين سُمر الوجوه القادمين من الجزيرة العربية .. كل شيء هنا .. يخيل لي أنني لو مشيت في الشارع لدست على مومياء ما تحت الأسفلت ..

أين ذهب هؤلاء ؟.. أحيانًا أرى لمحة هنا أو هناك في وجه ذلك البائع الأسمر القادم من جنوب البلاد .. صعيدي كما يطلقون عليه هنا .. تشعرين بأنه خرج من جدار أحد المعابد. بعض وجوه الأقباط هنا تذكرني بتلك الملامح البيزنطية على جدران الكنائس .. هناك وجوه أفريقية ووجوه أوروبية لا تصدقين أنها مصرية إلا عندما تتكلم بالعربية ..

رأيى الخاص أن هذا شعب طيب جدًا ، لكن الظروف الاقتصادية جعلته أميل للخشونة .. دعينى أؤكد لك أن الابتسامة نادرة فعلاً فى وسط القاهرة .. لكنهم يتحملون فى صمت ظروفًا لو مر بها غربى لجُن ..

لقد رأيت فقرًا ألعن بكثير فى قلب أفريقيا .. لكنى لم أر أسوأ الفقر يتجاور مع أفحش الثراء . عدد الهواتف الجوالة أكثر بكثير مما تجدينه فى مونتريال وهناك الكثير من السيارات باهظة الثمن ، لكن إلى جوار هذا تجدين من يعيشون فى عشش من صفيح ويأكلون جلد الدجاج ..

كما قلت لك هو بلد عجيب ..

أهل علاء كما تعرفين أناس طيبون فعلاً .. بسطاء يحرصون على تدليلى ، وتفاهمى مع أمه ممتاز برغم أنها لا تعرف حرفًا من الفرنسية .. مع هذه المرأة العجوز الطيبة تكتشفين أن اللغة نوع من الترف الزائد. دعك من أننى صرت أجيد الكثير من العربية .. صحيح أن من يسمعنى أتكلمها يضحك لكنه يفهم كذلك !

إنها تعنى بى وتدللنى جدًا كما تفعل أية أم شرقية مع زوجة ابنها الحامل . تعتقد أننى سأفقد الجنين لو حملت طبقى بعد

الغداء ، أو جلست جلسة غير مريحة قليلاً . بالإضافة لهذا تؤمن أن الحامل يجب أن تأكل كديناصور .. إنها تجهد كى تطعمنى فلا ترى لى مهمة فى الحياة سوى أن ألوك الطعام طيلة اليوم .. أعتقد أنها قلقة بسبب فقدى لطفلى السابق ، وبرغم أن الطبيب أكد أن الأمور على ما يرام فهى لا تثق بالأطباء أبدًا حتى ابنها !

على فكرة هى نظيفة جدًا وبطريقة تشعرنى بأننى خنزير برى .. عندها جنون النظافة فى كل شىء ، وتشعل البخور فى الحمام عندما تدخل حتى لا تترك أذنى رائحة ، كما أنها تستعمل وصفات شعبية غريبة تجعل رائحتها عطرة على الدوام .. مثلاً الشب تستعمله لطرد رائحة العرق .. تصنع بنفسها صابونًا منزليًا صغير الحجم ساحر الرائحة . بارعة جدًا وقد رأيتها تصنع السلامون والصالامى (يسمونها البسطرمة هنا) فى البيت . إن أمامى الكثير لأتعلمه من هذه السيدة.

امرأة طيبة عزيزة هى .. أعتقد أننى أحبها كثيرًا ..

سوف ننهى إجازتنا هنا سريعًا ثم نذهب إلى كندا .. أنا مشتاقة لأن أراك وأرى أبى .. لا أعرف كيف ينظر لى الآن

ولا ما انطباعه عن مغامرتى الأفريقية ، لكننى سعيدة .. أعتقد أن الهدف الوحيد من كفاحنا هو أن نكون سعداء .. ليته يفهم هذا ..

حدث حادث شنيع وإن كان لا يمسنا يتعلق بطبيب مصرى زوجته كندية .. لا داعى للتفاصيل على كل حال .. ليس الأمر كما تتخيلين وليست مصر موطنًا للإرهابيين الملثمين الذين يخطفون الأجانب . هذا بلد آمن لكنه مُرهَق ومرهِق معًا .. لا أكثر .. (مارى) قررت الرحيل فورًا فهى لم تعد تطيق البقاء هنا .

تمنى لى حظًا حسنًا فالمرء لا يصير أمًا كل يوم ..

بإخلاص : برنادت

* * *

صفحة (لمشكلتك حل) بمجلة (......) :

عزيزتى الأستاذة هالة :

سيدتى . أنا طبيب فى الثلاثينات من العمر ، وقد اضطرتنى ظروف يطول شرحها للعمل فى الخارج فترة طويلة ، وعملت لفترة فى مستشفى هناك . قابلت زوجتى الأجنبية وأعتقد أن حياتنا كانت هادئة . ربما تخللتها بعض العواصف من حين لآخر ، لكن السبب على الأرجح كان أنا وليس هى .

جئنا مصر من قبل ، وقد سعدت زوجتى كثيرًا بلقاء أسرتى . كانت هناك بعض المشاكل فى تلك الزيارة لكن لا دخل لها بالعلاقة بينها وأسرتى ، لكن المشاكل بدأت فعلاً مع زيارتنا الأخيرة وهى التى لم تنته بعد ، حيث لاحظت أنها تستغرب الكثير من طباع أمى وعاداتها ، وأجرؤ على القول إنها تتعالى عليها نوعًا .

أمى سيدة بسيطة ريفية من الطراز المصاب بالسكرى والضغط والسمنة ، والتى لا تملك مملكة غير بيتها . وفى الوقت ذاته هى لا تتخلى عن عاداتها بسهولة . مثلاً هى تصنع البسطرمة

والصابون والبسطرمة فى البيت . لا تكف زوجتى عن إبداء دهشتها من أمور كهذه .. وهى دهشة أوشك أن أشم منها رائحة السخرية . بصراحة لا أفهم كيف تتصرف بهذه الطريقة وهى الرقيقة التى لا تجرح شعور أحد.

عادة أمى فى إشعال البخور فى الحمام تندهش منها زوجتى وتبدى ذهولها بشكل متكرر ، حتى إننى أضمرت أن أكيل لها الصاع صاعين عندما أقابل أسرتها الغريبة.

بصراحة ليس هناك من أطلب رأيه ولا أثق به سواك .. الأمر يبدو أقرب إلى الهواجس لكنها هواجس تضايقنى ولا أستطيع أن أصارح بها أحدًا ، وفى الوقت ذاته هى ليست مبررًا كافيًا لافتعال مشاجرة ، خاصة أن زوجتى حامل وأيامنا هنا قصيرة على كل حال .. لهذا أرجو أن تضعى هذا الخطاب على قمة الخطابات التى تردين عليها مع الشكر.

علاء ع . مصر

* * *

عزيزى د. علاء :

بصراحة كان عليك أن تفكر مرتين قبل أن تفكر فى أن تتخذ زوجة أجنبية تختلف عن طباعك وعاداتك فى كل شىء . هذا هو الخطأ المصرى الشهير : الوقوع فى مصيدة الشعر الأشقر والعينين الزرقاوين ، ثم يدفع المرء الثمن طيلة حياته عندما يكتشف أن زوجته تستضيف أصدقاءها فى غيابه ، ولا تفهم معنى الملوخية والفول والطعمية ، ولا تفهم أيًا من طباعنا الشرقية ، ومن بينها أن تحترم حماتها .

رأيى الخاص أنه لابد من وقفة حازمة .. يجب أن تعرف من هو الرجل ومن هى الأنثى ، ويجب أن تظهر بوضوح احترامها لأمك .. ليس لدرجة القهر طبعًا ، لكن بعض الاحترام لن يضر أحدًا .

اكتب لى بانتظام ، وأخبرنى عن النتيجة . وللشباب الواقف على البر بعد أقول : لا تندفعوا فتندموا ، ولتتذكروا أن (عزة) و(مها) هنا .. وهما تعرفان معنى البيت والأسرة والأهل ..

هالة

* * *

بسبب خطأ مجهول السبب تم الرد على خطاب د. علاء مرة أخرى بعد ثلاثة أعداد من المجلة ، وكان الرد الثانى يقول :

عزيزى د. علاء :

هذه هى المشكلة .. كان عليك أن تفهم نفسك جيدًا وتفهم أن ليس بوسعك احتمال زوجتك التى جاءت من ثقافة مغايرة ، وبالتالى ردود أفعالها مختلفة . لم أجد فى كل كلامك شيئًا يشين زوجتك أو يدل على أنها تتحرش بأمك . ثم لا تتضايق من كلامى .. هل تتوقع منها ألا تندهش من قيام سيدة فى القرن الحادى والعشرين بصنع الصابون فى البيت ؟.. إن السيدة والدتك من الطراز القديم ، وعليها أن تستوعب مقتضيات العصر ، لكن لا تطالب زوجتك بألا تندهش . رأيى الخاص أنكما راحلان إن لم تكونا رحلتما فعلاً .. لهذا سوف تحل أية مشكلة نفسها سريعًا .. كف عن الحساسية الشرقية الزائدة وتعامل بنضج أكثر .

ليســـت (مهـا) هى الحـل دائمًا .. أحيـانًا تكون (جين) زوجـة أفضل وأكثر تفهمًا .

اكتب لى لأطمئن .

هـــالة

* * *

- 3 -

بطاقة دعوة أنيقة على ورق مصقول :

عزيزي د. علاء عبد العظيم :

نتشرف بأن نوجه لكم الدعوة لحضور مؤتمر (أطباؤنا فى الخارج) والذى يحاول أن يربط عرى الصداقة والتعارف بين الأطباء أبناء وطننا الحبيب ، أولئك الذين اختاروا العمل أو الدراسة فى الخارج . ولسوف نتشرف بحضوركم فى حالة القبول فى قاعة (..) بنادى (..) الساعة الثامنة مساء يوم الثلاثاء 8 أغسطس .

جمعيتنا جمعية أهلية لا علاقة لها بالحكومة ولا إدارات البعثات أو وزارة الخارجية ، وبهذا نحن نفتقر إلى الشكل الرسمى لكننا لا نفتقر إلى الفعالية.

وتفضلوا بقبول وافر الشكر.

نائب رئيس الجمعية

محمد التونى

* * *

عزيزى أشرف :

أفتقدك كثيرًا جدًا .. تعرف أن كل واحد منا قد ترك جـزءًا من روحه لدى الآخر . تلك اللحظات الغالية التى أقول فيها كلمة أو أبدأ جملة عالمًا أنك ستفهم من غير أن أكمل ، فتقول لى : أفهمك .. والله العظيم أفهمك فلا تتعب نفسك !

من أجل لحظات كهذه ابتكر البشر لفظة (صداقة)..

حكيت لك فى خطابى السابق أننى فى مصر حاليًا . أعرف أنك ستعود من (دبى) بعد شهرين فى إجازة قصيرة ، لكننـا للأسف لن نلتقى .. من يدرى ؟.. ربما أسافر إلى دبى أو تأتى أنـت إلى الكاميرون يومًا مـا . إجـازتى هادئـة خاليـة مـن المشـاكل .. (برنادت) تعانى أعراض الحمل بشدة وكمـا تقول هى بطريقتهـا الذكية : « أقدم احترامى اليومى للمرحاض العظيم .. فأبدأ يومـى بالانحناء أمامه ربع ساعة لأفرغ معدتى ! » . لا تقل (مبروك) إلا عندما تستقر الأمور وأطمئن .. تذكر أن رحلـة طـائرة عنيفـة تنتظرها إلى كندا .. على كل حال جاء هذا الخبر بعد مـا ذرعنـا كل شبر فى أرض مصر .. هناك أماكن لم أعرف أنها فى مصر رأيتها أخيرًا معها . من الواجب الآن أن (نهمد) قليلاً ونستقر فلا أريد أن أعرضها لمخاطر الحركة .. لاحظ أننـى فقدت حمـلاً قبل هذا .. لا داعى لمزيد مـن الجولات ، ولا أعتقد أن هنـاك موضعًا فى مصر لم نزره فى هذين الأسبوعين ..

كما قلت لك : لا أحداث . هناك جمعية أهلية تقوم بعقد اجتماعات للأطباء الشباب الذين يعملون فى الخارج .. لا أعرف كيف وجدوا عنوانى ولا كيف عرفوا أننى فى مصر . أعتقد أنهم أجروا بحثًا مدققًا لدى وزارتى الصحة والخارجية .. لا أعرف بالضبط .. على الأرجح هم يعقدون اجتماعات دورية ، ويراسلون الأطباء الذين يعرفون أنهم موجودون فى مصر فى هذا الوقت بالذات.

لقد ذهبت لموعد اجتماعهم فقابلت نسخًا عديدة منى كلهم لديهم قصة حياتى . هناك قابلت رئيس تلك الجمعية ، وهو رجل أعمال يحمل الجنسية البريطانية اسمه (معتز الشيخ) . كان طبيبًا فيما سبق ثم تفرغ لهذه المهنة الغامضة (البيزنس) حيث يجرى مكالمة كل ثلاث دقائق ويكسب مليون دولار بعدها .. لكنه والحق يقال رجل ظريف . لقد رحب بنا وقال إنه لا يهدف لأية منفعة سوى أن نعرف بعضنا البعض جيدًا .. النائب اسمه (محمد التونى) وهو طبيب آخر أقل لطفًا وأكثر براعة فى العلاقات الاجتماعية . هناك منسقة أو سكرتيرة خريجة الجامعة الأمريكية اسمها (هبة) ولا أعرف دورها بالضبط ، سوى التأكد من أننا نلنا ما يكفى من قطع الجاتوه الصغيرة التى بحجم قطعة السكر (أعتقد أن لهذا الجاتوه الذى غرست فيه أعواد خلة اسمًا راقيًا لكنى لا أعرفه باعتبارى سافلاً منحطًا) .

لاحظت أنهم يدققون فى جمع المعلومات .. يريدون معرفة كل شىء عنك ، مما يدل على أن معلوماتهم ليست كاملة . طبعًا كان السؤال المتوقع هو : « لمـاذا تجمعون هذه المعلومات ؟ » تقال بكثير من الريبة ، فيـأتى الرد : « نحن فى سبيلنا لعمل قـاعدة بيانات كاملة على شبكة الإنترنت تتيح لك معرفة كل شىء عن زملائك فى المهنة .. »

ثم قاموا بتوزيع بعض الأوراق المطبوعة علينـا .. أغلبهـا يحوى كلامًا إنشائيًا فارغًا ، لكـن المهم أنك تجد قائمـة بأسماء وعناوين وأرقام هاتف الموجودين .. بعضهم كـان ظريفًا تتمنى أن تعرفه أكثر وبعضهم تتمنـى أن يكون هذا هو اللقـاء الأخير بينكمـا .. بعضهم جاء ليبقـى فى مصر للأبد ، وبعضهم مثلـى يلتقط أنفاسه قبل السفر من جديد. معظمهم يعمل فى الولايات المتحدة ، وقليل جدًا منهم يعمل فى أفريقيا أو آسيا ..

هذا هو كل ما مر بـى من أحداث فى إجازتى حتى اليوم .. يبدو أننى بدأت أشيخ حقًا ..

اكتب لـى يـا أشرف ، وكف عن عادتك المقيتة فى تجـاهل الخطابات حتى تلاكم ...

عـــلاء

* * *

د. عـــلاء :

لا أعرف إن كنت ستذكرني ، لكنني حصلت على عنوانك الإلكتروني عندما كنا في ذلك الاجتماع أول من أمس ، وقررت أن أقوم بمراسلتك لأنني تحرجت من الاتصال بهاتفك وهو كما فهمت هاتف بيت الأسرة ؛ لأنه لا بيت لك في مصر .

اسمي (عصام مصطفى) .. مختص بأمراض الأنف والأذن والحنجرة وأعمل في كندا منذ عشرة أعوام .. أنا قاهري أصلاً وسني تقترب من الخامسة والأربعين ولدي طفلان . سرني أن أعرف أن زوجتك كندية . أعتقد أنك ستحب كندا كثيرًا عندما تزورها ، برغم أن معظم الناس تميل إلى جارنا الثري المزعج في الجنوب (الولايات المتحدة) ، لكنني أعتبر كندا قد نجحت في أشياء كثيرة لم تحققها الولايات المتحدة .. هذا موضوع يطول على كل حال ..

أنا هنا مع زوجتي الكندية وخطر لي أن الزوجتين ستحبان لقاء بعضهما البعض .. ما رأيك في ترتيب لقاء في بيت أحدنا أو مكان مشترك ؟

رقم هاتفي هو (......) ولسوف يكون من دواعي سروري أن نلتقي، لكن أرجوك أن تقرر بسرعة لأن إجازتي موشكة على الانتهاء ..

عصام مصطفى

* * *

الباخرة النيلية (نيبتون) :

فاتورة حجز (عشاء + عرض راقص)

د. عصـام مصطفى

مـــاري مصـــطفى

د. علاء عبد العظيم

د. برنادت عبد العظيم

تتحرك السفينة في تمام السابعة مساء يوم الخميس 10 أغسطس .
نرجو الحضور قبل الموعد مع الشكر.

* * *

من ألبوم صور علاء عبد العظيم :

- أنا وبرنادت مع د. عصام مصطفى وزوجته الكندية على ظهر السفينة (نبيتون) .. إنها سمراء جميلة يصعب أن تصدق أنها غربية .. بالطبع تركوا شياطينهم الصغار فى البيت .

- عصام والراقصة تقف خلفه .. طبعًا هذا أسوأ موقف يمر به رجل ؛ لأنه حريص على أن يبدو غير مبال بالراقصة ، وهذا بالضبط ما يكفى ليجعل مظهره فضيحة ..

* * *

صفحة الحوادث فى جريدة (..) :

مقتل طبيب مغترب فى ظروف غامضة

محمد حمزة : تواصل الشرطة التحقيق فى الظروف الغامضة التى أحاطت بمصرع طبيب مصرى اسمه (عصام مصطفى) 45 سنة يعمل فى كندا ، وكان قد جاء إلى مصر فى إجازة مع زوجته الكندية وابنيه . فى السابعة مساء الجمعة 11 أغسطس عادت زوجته مع أطفالها من جولة فى القاهرة ، حيث توجهت لغرفته بفندق (....) فوجدت الباب مغلقًا وهو لا يرد. بمساعدة خادم الغرف تمكنت من فتح الغرفة لتجد جثة زوجها على الفراش وقد اخترقت طلقة جبهته . انتقل إلى مكان الحادث العقيد (....) والنقيب (....) ، وقالت الزوجة إنه لا يوجد لزوجها أعداء ، وإن لاحظت اختفاء مبلغ ألفى دولار كان فى مكان ظاهر ، وأصدر مدير أمن القاهرة أمرًا بسرعة ضبط الجناة .

* * *

عزيزى أشرف :

تصور أن ذلك الطبيب المقيم فى كندا الذى طلب أن أقابله وزوجته قد توفى ؟.. كنت معه منذ أيام على ظهر سفينة فى النيل وكان مليئاً بالحيوية ، ولديه مشاريع لا تنتهى .. زوجته كانت لطيفة جداً ، وقد صارت صديقة (برنادت) .

فجأة تفتح الصحف لتكتشف أنه قتل فى فندقه بالقاهرة .. يا له من شعور !.. صحيح أن هذا الكلام ممل ويقال فى كل مرة حتى لم يعد له معنى تقريبًا ، لكنى لا أتمالك ذلك الشعور بالقشعريرة كلما فكرت فيما حدث له .. هكذا تفرغ الأجساد المليئة بالحيوية من لغز الروح ، وتنتفخ وتتعفن .. شعور قاس فعلاً ..

أما ما هو أقسى فهو عدم وجود خيط من أى نوع .. يبدو أن رجال الشرطة لن يجدوا القاتل ولسوف تصير هذه القضية واحدة من القضايا فى ملف قديم مترب .. أعتقد أن الجرائم التى لا تتم بغرض السرقة هى أسهل أنواع الجرائم فى ضبطها ؛ لأنه من السهل أن تتذكر عدواً موتورًا أو منافسًا فى السوق ، أو عاشقًا

غيورًا يحب ذات الفتاة .. أما كون الجريمة تمت للسرقة فهذا يجعل الاحتمالات لا حصر لها ..

زرتها أنا و(برنادت) فى غرفة الفندق الجديد الذى أقامت فيه .. كانت منهارة تمامًا ، وقالت إنها ستعود إلى كندا بمجرد أن يسمح لها رجال الشرطة بذلك .. للأسف سوف تحمل لمصر أسوأ ذكرى ممكنة فى حياتها ..

بالطبع لابد أن رجال الشرطة فكروا فيها .. هى المتهم الأول كالعادة فى حالة كهذه ، لكن لا يوجد لديها دافع ولا تملك الأعصاب اللازمة لعمل كهذا .. المشكلة أن التحقيق فى هذه الظروف يزيد من الضغوط العصبية عليها ، ويذكرها بأدق تفاصيل الحادث ..

على كل حال ، سوف تسافر قريبًا ولن تترك سوى ذكرى خافتة أليمة .. فليرحم الله (عصام) ويرحمنا جميعًا.

علاء

- 4 -

محضر تحقيق الشرطة :

س : اسمك وسنك وعنوانك ؟

ج : ناصر عبد المطلب خليفة .. 60 سنة .. مقيم فى 8 شارع النرجس .. موجه لغة عربية وعلى المعاش حاليًا ..

س : ما هى علاقتك بالقتيل ؟

ج : الدكتور (عزمى إسكندر) جارى منذ 40 عامًا .. أعنى أن أسرته كانت تقيم فى نفس البناية .. وحينما تخرج الدكتور (عزمى) فى كلية الطب سافر إلى الولايات المتحدة للدراسة ، وعرفنا أنه تزوج هناك .. كان يعود لمصر كل عامين تقريبًا ويقيم فى منزل الأسرة .. أحيانًا كانت زوجته تأتى معه وأحيانًا يأتى وحده .. إنها أمريكية لا تناسب ثيابها عاداتنا ، لهذا أراقب ذلك الحيوان ابنى الأصغر .. إنه مراهق وهذه المشاهد تذهب بعقله .. لهذا ..

س : هل كانت علاقتك قوية به ؟

ج : علاقتي بابني ؟.. طبعًا .. إنه ابني سعادتك .. إنه حيوان لكنه ابني ..

س : يا سيدي .. أتكلم عن د. (عزمي) ..

ج : كانت علاقتي قوية بأبيه يرحمه الله .. كلانا من رجال التربية والتعليم ، وقد توفيت الأم منذ عشرين عامًا .. للأستاذ (إسكندر) ابنان أحدهما صيدلي يعيش في مصر والآخر هو الفقيد (عزمي) .. بالنسبة للأخير لم تكن العلاقة تسمح بأكثر ، فقد عرفته صغير السن ثم سافر للخارج وصرت لا أراه أكثر من بضع دقائق كل عامين عندما ينزل أو يصعد لبيت أسرته ..

س : هل كان له أعداء ؟

ج : سعادتك .. هل يمكن أن يكون له أعداء قبل أن يكون له أصدقاء ؟.. إنه أقرب إلى سائح يزور مصر بضعة أيام كل عامين .. لا وقت لشيء من هذا ، وانطباعي عنه أنه مشغول دائمًا .. تعرف هذا من مشيته ومن نظرته

للساعة كل ثلاث دقائق .. ثم إنه في حاله .. سعادتك تعرف ذلك النموذج المشاغب من الناس الذى يبحث عن مشكلة وترى المتاعب فى عينيه . هذا نمط يسهل أن تميزه على الفور ، والفقيد لم يكن كذلك ..

س : ماذا حدث يوم الوفاة ؟

ج : لا شىء تقريبًا .. لقد كنت أقف أمام بابى أصلح جرس الباب ، وسمعت خطوات فنظرت خلفى .. مر بى وكان متأنقًا يفوح منه عطر فاخر .. وكان رائق المزاج إلى حد كبير . يصفر فى حرارة .. ورآنى فهز رأسه محييًا .. سألته عن أبيه وعن أسرته ، ثم هبط فى الدرج ..

س : كم كانت الساعة وقتها ؟

ج : نحو الثامنة مساء .. لست متأكدًا ..

س : وماذا حدث بعدها ؟

ج : سمعت صوتًا غريبًا .. كأنها سدادة زجاجة من فلين تفتح .. ثم دوى شىء يرتطم من بئر السلم .. لم أفهم ما هناك وبما إننى كنت وحدى فى البيت ، فقد نزلت بمنامتى بحذر .. خطوة .. خطوة .. من السهل أن ينزلق الخف من

قدمى ، وأنت تعرف يا سيدى كيف يتحطم عنق الفخذ لدى الشيوخ بسهولة .. لى عم قضى نحبه عندما ...

س : أستاذ ناصر .. هلا عدت لموضوعنا من فضلك ؟

ج : نعم . نعـم .. نزلـت فـى الـدرج بحـذر .. وجـدت فـى بئـر السلم شيئًا معقدًا غريبًا .. مع الظلام والتوتر لم أفهـم مـا أراه حقًا .. ثم اعتادت عيناى الظلمة فرأيت أنه د. عزمى شخصيًا .. كان راقدًا على ظهره وهنـاك ثقب بشـع فـى جبهته .. شاخص العينين .. إنه ميت ..!.. طبعًا احتجت لوقت طويل كى أستعيد روعى وحتى لا أصاب بنوبة قلبيـة .. ثم تحاملت على نفسى وخرجت للشارع ورحت أصرخ ، حتى لحق بى أصـحاب الحوانيت القريبـة .. هنـاك وغد ما انتظر الرجل فى بئر السلم ثم أفرغ فيه طلقة واحـدة . لابد أنها بكاتم للصوت ؛ لأن أيًا من الجيران لم يسمع أى شىء .. أنا أرى كاتم الصوت هذا فى أفلام السينما وله صوت سدادة الفلين فعلاً .. كنـا نحب فيلم (مدافـع نافـارون) وخاصة هذا الممثل اسمه .. جريجورى بك على ما أذكـر .. كان يطلق الرصاص بمسدس كاتم للصوت .. لا .. ليس هذا الفيلم . لقد اختلط على الأمر .. إن ..

س : نعود لموضوعنا أرجوك .. هل تكلموا عن شخص يغادر البناية ؟

ج : سعادتك لا يمكن أن تلاحظ أى شىء لأن شارعنا مزدحم ، والبناية المجاورة مليئة بعيادات الأطباء .. هناك مليون شخص غريب يصعدون وينزلون فى كل ساعة .. على كل حال لابد أن سيارة كانت تنتظر القاتل .. لا يمكن أن يطلق الرصاص ثم ينتظر سيارة أجرة .. على كل حال لم أعد أعرف ما جرى بعدها ؛ لأن سيارة الإسعاف جاءت ومعها عدة سيارات شرطة .. زحام وصراخ .. صعدت لشقتى بصعوبة حتى جاء رجال الشرطة .. دعك من أننى لم أستكمل إصلاح الجرس طبعًا لذا لففته بالشريط العازل وانتظرت حتى الصب ..

س : هل لديك أقوال أخرى ؟

ج : فقط الشكوى من الجيران الذين يلقون أكياس القمامة فى المسقط الخاص بنا .. هذه عادة قذرة ويجب أن تمنعوهم من ..

س : أقفل المحضر لساعته ووقع على صحة أقواله.

* * *

تقرير الطبيب الشرعى عن نتيجة تشريح جثة المتوفى (عادل عبد المقصود) :

تبين لنا أن المتوفى فى الأربعين من عمره طوله 177 سم ووزنه 80 كجم تقريبًا ، يلبس بذلة سوداء كاملة صوفية ، مع ربطة عنق وقميص أبيض ، والغيار الداخلى سليم ، لكن الجزء الأعلى من الثياب الخارجية ملوث بالدماء . وفى يده اليسرى ساعة ماركة (..) تحطمت واجهتها .. تبين من الفحص الظاهرى للجثة وجود سحجات على الكف الأيمن مع كدمات بطول الساعد . يوجد ثقب دخول لرصاصة فى منتصف الجبهة ولا توجد حروق حول الجرح ، ولم نجد فتحة الخروج ولا المقذوف مما يرجح أنه استقر داخل الجمجمة ..

تشريح الأعضاء الداخلية : تبين أن ....

* * *

صفحة الحوادث فى جريدة (..) :

النيابة تمدد حبس المتهم فى مقتل الطبيب المصرى المغترب

محمد حمزة : قامت النيابة بتمديد حبس (سالم العسكرى) المتهم الوحيد فى قضية مقتل الطبيب المصرى (عادل عبد المقصود 40 سنة) الذى يحمل الجنسية الأمريكية .. الطبيب المصرى العائد من الولايات المتحدة فى إجازة قصيرة كان يقيم وحده فى شقة بالمنيل ، وقد شوهد المتهم يصعد لشقته فى العاشرة مساء يوم الحادث ، ثم شوهد وهو ينزل منها بعد ساعة وقد بدت عليه علامات الارتباك كما قال الشهود ، وعندما تأخر ظهور الطبيب لمدة يومين اتصل الجيران ببعض أقاربه الذين فتحوا الشقة ليجدوا الطبيب بكامل ثيابه كأنه كان يتأهب للخروج ، وقد سقط على أرض غرفة الجلوس مع وجود أثر طلقة نارية فى جبهته . وقد قدر المختبر الجنائى وقت الجريمة بنحو يومين قبل اكتشاف الجثة .

أصدر اللواء (..........) أمره بسرعة ضبط الجناة ، وبالتحرى تبين أن (سالم العسكرى 28 سنة) سباك قد اعتاد التردد على شقة الطبيب لإجراء بعض الإصلاحات فى سباكة الشقة ، وقد تبين أنه هارب عند بعض أقاربه فى القاهرة ، وبالقبض عليه أنكر تمامًا

أن يكون له دخل بالجريمة وأكد أنه ذهب لشقة القتيل بناء على مكالمة هاتفية ، لكنه وجد الباب مفتوحًا واكتشف جثة الطبيب بالداخل ، وقد أصابه الرعب وخاف أن يتهم بالجريمة خاصة أن القتيل يعيش وحده ، لذا بادر بالفرار .

لم يستدل على سلاح الجريمة وإن بدت آثار العبث أو السرقة على الشقة .. يرجح اختفاء مبلغ 12 ألف دولار كان الفقيد قد سحبها من المصرف يوم الجريمة ، والشكوك تحوم حول المتهم ؛ لأنه الوحيد الذى أتيحت له الفرصة لارتكاب الجريمة.

* * *

- 5 -

عزيزي أشرف :

لن أطيل التحيات لأنني بالفعل لست على ما يرام ..

أنت تعرف أنني في مصر حاليًا لم أبرحها بعد .. تعرف أنني أذهب لكل مكان وأزور كل الأشخاص كعادتي ، لكنني بالطبع لا أصطحب زوجتي في أي مكان . أخشى أن أختبر تحمل رحمها أكثر من اللازم فقد تحمل الكثير من رحلاتنا المجنونة من قبل .. هناك مطبات يمكنها أن تجهضني أنا شخصيًا وأنا رجل !

ذهبت أمس إلى السينما كما قلت لك .. هذه المرة ليست سينما من طراز (الوكر القذر) الذي اعتدناه ، ولكنها واحدة من سينما الملتيلكس الأنيقة التي انتشرت في مصر ليؤمها جمهور المول . السينما في المنيل وقد اخترت فيلمًا لا بأس به ..

على باب السينما عرفت هذا الوجه ، ولاحظت أنه يطيل التحديق بي ، ثم صرخ بلا إنذار :

- « حتى بهذه اللحية لن تخدعني ! »

هل تعرف من ؟.. كان (علاء الشناوي) !.. نعم .. ذلك الفتى الذكي الذي توقعنا له أن يصير رئيس الجامعة يومًا .. كان معي

فى نفس الحلقة الدراسية ؛ لأن اسمينا متقاربان ولم نكن نفترق . لم يتغير كثيرًا .. فقط تزوج وصار له كرش لا بأس به .. لم يحقق أى نجاح مما توقعناه فهو مجرد طبيب عادى غير متميز ، تحقق له عيادته الخاصة ما يكفيه لحياة كريمة .. كريمة تعنى الأكل والشرب والدواء والمسكن ، وأنت تعرف أن هذا يحتاج لقسط لا بأس به من المال فى مصر اليوم ..

تعانقنا وتبادلنا الذكريات وأحدثنا ضوضاء كبيرة ضايقت الواقفين كالعادة .. بالطبع تبادلنا الكثير من الذكريات التافهة والدعابات المملة إياها .. فعلاً الذكريات لا تعنى أحدًا سوى صاحبها . الأسماء المضحكة التى كنت تطلقها على الفتيات .. المقلب الذى اشتركنا فيه ضد زميلنا فى الحلقة الدراسية .. إلخ .. فعلاً أشياء مبتذلة جدًا لا تهم سوانا لكننا نحكيها كأنها أسرار الكون .. فيما بعد تكتشف اكتشافًا مروعًا : كل الطلبة يفعلون ذات الأشياء ويقولون ذات الأقوال ..

شاهدنا الفيلم معًا .. ثم خرجنا من السينما نلتهم الفيشار ونثرثر .. طبعًا لا يذكر واحد منا أنه رأى فيلمًا ولا يذكر محتواه .. كان الفيلم مجرد خلفية ضوئية وصوتية لذكرياتنا ..

الليل والنيل والهدوء والشارع شبه الخالى ..

ثم هذا الرجل الذى يلحق بنا من الخلف ليقول بتهذيب :

ـ « من فضلك .. »

نظرنا له معًا .. لا أجد وصفًا أصف به وجهه .. لا شارب ولا نظارة .. ليس بدينًا ولا نحيلاً .. عيناه غير زرقاوين ولا خضراوين ولا سوداوين .. قلت هذا مرارًا فيما بعد .. ثيابه ليست أنيقةً ولا رثةً .. باختصار هو مشكلة لمن يحاول رسمه .. مشكلةً حقيقيةً ..

ـ « هل أنت د. (علاء) ؟ »

قالها لنا معًا ، فخمنت أنه بالطبع يريد صاحبى لأنه لا أحد تقريبًا يعرفنى فى مصر اليوم .. لم أفز بجائزة نوبل فى الطب كى يتذكر أنه رأى وجهى وأنا أصافح ملك السويد .. هكذا صمتت وتركت لصديقى أن يتكلم هو .. قال (علاء الشناوى) فى أدب :

ـ « أنا هنا .. إلا لو ..... »

ولم يكمل العبارة .. فلوب !

هذا هو ما حدث بالضبط .. أنت لم تخطئ القراءة ..

فلوب !.. هذا هو صوت طلقة المسدس الذى أفرغه الرجل فى رأس صاحبى . مسدس كاتم للصوت كما هو واضح لأن فوهته طويلة جدًا ..

وجدت نفسى واقفًا أمام جثة (علاء) الملقاة على الإفريز والتى رقدت فوق الفيشار المبعثر والدم ، بينما ذلك الرجل يثب فى سيارة رمادية اللون كانت تسير بتؤدة إلى جوارنا ، ولم ألحظها إلا الآن . دوى صوت العويل من العجلات عاليًا بينما هى تنطلق على السرعة الرابعة وتغيب فى الشارع شبه المظلم ..

هنا فقط وبعد بضع دقائق وجدت هواء فى حنجرتى ...

صرخت ..

جثوت على ركبتى جوار الجثة .. هناك ثقب أحمر مروع فى منتصف الجبهة .. أعرف أفضل من أى واحد آخر معنى هذا . كنت أرتجف وأصرخ .. أصرخ وأرتجف .. وسال اللعاب من فمى المفتوح ليغرق سراويلى ..

إن يدىّ ترتجف الآن فلا أقدر على أن أضغط على المفاتيح الصحيحة .. أنت تفهم شعورى طبعًا ، ولا أعرف متى جاءت الإسعاف ورجال الشرطة .

لقد مات صديقنا (علاء الشناوى) .. مات أمام عينى .. والأدهى أننى غير قادر على مساعدة الشرطة بشىء .. ألم أقل لك إن أهم صفة تميز الرجل هى أنه بلا صفة مميزة ؟.. فقط يمكن أن أعرفه لو رأيته ثانية ..

للمرة الثانية منذ جئت إلى مصر أمضى ساعات ممتعة مع شخص ثم يموت ..

الشرطة تحقق فى الأمر ، ولم يتبين وجود أى أعداء لعلاء .. لا خلافات ...

الحق إننى مهزوز فعلاً برغم كل ما رأيت فى حياتى .. رأيت الكثير لكن مشهد مصرع صديق برصاصة على بعد متر منى لهو أمر لا يوصف ولا يمكن تحمله..

خطاب مقتضب كئيب هو يا أشرف لكنك تفهم . أنا آسف فقد أفسدت يومك .. لكن هل تتصور أن يحدث هذا كله ولا أحكيه لك ؟

علاء

* * *

عزيزى علاء:

ليرحمه الله .. مات من دفعتنا عدد لا بأس به لكنها ميتات طبيعية كلها ، وعلى قدر علمى هذا أول واحد يُقتل .. كنت أراهن دومًا على أنك ستنال هذا الشرف لكنك خيبت أملى ..

كنت أحكى لزوجتى عن هذا ، وأنت تعرف أنها تمقتك بلا فخر وتمقت الأرض التى تمشى عليها .. قالت لى :

ـ « ألم يخطر لزميلك (علاء) أن الرجل كان يريد قتل (علاء عبد العظيم) لا (علاء الشناوى) ؟ »

هنا تصلبت .. بالفعل هذا وارد جدًا .. هو سأل عن د. (علاء) .. لو تكلمت أنت أولاً لكنت أكتب هذا الخطاب لأرملتك .. الفكرة مخيفة لكنها واردة .. صدفة عجيبة أن يوجد اثنان (علاء) خارجين من السينما . الرجل هو قاتل جاء فى مهمة ..قائد السيارة رآك تدخل السينما .. قام بجولة حتى اقترب موعد انتهاء الحفل .. ثم يرى قائد السيارة رجلين يخرجان معًا .. يأمر القاتل : اقتل من يدعى (علاء) من هذين الرجلين .. لذت أنت بالصمت بينما تكلم (علاء) الآخر .

ألم تفكر فى هذا يا علاء ؟

أنا أثير قلقك وأجعل حياتك جحيمًا كأننى غراب البين ، لكن أرجوك أن تفكر فى هذا ..

عندما ظهرت عمليات إرهابية فى مصر فى التسعينات ، قُتل د.(رفعت المحجوب) رئيس مجلس الشعب وقتها ، وتساءل الكل عن الهدف من قتل رجل أنهى فترة رياسته للمجلس فعلاً ، ثم عرف الجميع أن الجناة كانوا بانتظار وزير الداخلية وقتها ، وحسبوا الموكب والسيارة السوداء يخصانه .. هذه من الألعاب القاسية التى يلعبها الحظ أحيانًا ، ويبدو لى أنك نجوت بطريقة مماثلة !!

- 6 -

عزيزى أشرف :

أنت عبقرى فعلاً .. هل تعتقد أنى لم أفكر فى هذا الاحتمال ؟.. بالطبع جالت الفكرة بذهنى مراراً برغم إننى لا أعرف أعداء فى مصر ، ليس لأننى وديع مهذب لا سمح الله ولكن لأننى لا أبقى فى مصر الوقت الكافى لأمارس هوايتى المفضلة .

هى فكرة مقلقة .. ولا يوجد شىء يمكن عمله أو التأكد به من العكس . لكن هناك مؤشراً مطمئناً هو أن الفاعل لم يكررها ثانية . لقد مرت ثلاثة أيام على الحادث ، وأعتقد أن هذا وقت كاف كى يعرف أنه قتل الشخص الخطأ ..

بصراحة ، أنا مندهش .. هذا جو غير معتاد فى مصر .. نحن نتكلم عن قاتل محترف .. Hitman بالمعنى الحرفى للكلمة .. بارد الأعصاب .. وبرغم قراءتى لأعمدة الحوادث فى كل الصحف ، فإننى لم ألق قط من يقتل باستخدام كاتم صوت فى مصر .. لن أندهش لو كان يمتلك بندقية بتلسكوب كذلك ..

لكن هذا القاتل المحترف لا يعرف ملامحى .. هذا واضح ... من أرسله يعرف .. أو يعـرف ملامـح (عـلاء الشـناوى) يرحمه الله بفرض أنه كان الهدف منذ البداية ..

دعك من هذه الخواطر السخيفة فلا يوجد ما نفعله ، وعلى كل حال رحيلى قد اقترب فلن يكفى الوقت للتورط فى مشكلة أخرى ..

على فكرة أعتقد أن كراهيـة زوجتك لـى هـى كراهيـة المرأة المصرية المعتادة لأعز أصدقاء زوجها .. هـو أولاً يـأخذ زوجهـا منها .. ثانيًا هو يعرف الكثير .. يعرف أكثر مـن الـلازم .. هكذا تظن .. ثالثًا : هى تفـترض أن زوجهـا يشكوها لديـه .. رابعًا : تفترض أنه وزوجها يعرف كل منهما عن الآخر أمورًا مشينة ويداريـان علـى بعض .. أى إن صديق زوجها يخدعها ويكذب عليها فيما يعرفه جيدًا عن زوجها ..

باختصار : قلب المؤمن دليله فعلاً !!

عـــــلاء

* * *

قصيدة فى مجلة (......) :

قصيدة وصلتنا من القارئة (هـ . أ . ن) بالقاهرة .. أعتقد أن موهبتها نبتة تحتاج إلى السقيا ، وأنها قادرة على تقديم المزيد مما هو أفضل ، وإن كان ينقصها القراءة لمزيد من الشعر العربى الجزل .. نقطة واحدة أهمس بها فى أذنها : الشعر يجب أن يخاطب أنبل ما فى الإنسان ، ولا يتخذ المقت والحقد والثأر موضوعًا له . هذا رأيى الخاص ؛ برغم أن هناك فى تراثنا العربى قصائد عنيفة جدًا تصف الحرب وتمزيق الخصوم ، كما أن بعض قصائد المقت المعاصرة رقيقة فى قسوتها .. لكنى برغم هذا أرى أن الشعر يجب أن يسمو فوق الحقد ..

اقرءوا القصيدة معى وقد قمت بتصحيح الكثير من الأخطاء اللغوية ، وهذا يرجع لأن الشاعرة لم تتنبه على حد قولها إلا مؤخرًا إلى أن لغتها هى العربية . هذا يدعونى لطلب المزيد من القراءة كما قلت ، وأذكرها أن الدخان لا يحرق لو كانت قد لاحظت هذا ! :

إلى (ع)

علمتنى معنى الكراهية المقدسَ .. والألمْ

علمتنى معنى الندمْ ..

علمتنى أن أشتهى الدخان يحرق صورتى

أن أدمن النسيان يطوى قصتى ..

أن أعشق النيران أنّى تضطرمْ..

علمتنى عشق الدماء .. وعشق رائحة الحممْ ..

علمتنى أن أحتدمْ ...

علمتنى أن أستعيد خناجرى

وأجز كل ضفائرى

وأعد مقصلتى لأجلك .. للصنمْ ..

أنت الصنم ..

شكرًا صديقى .. قد فهمت الدرس وحدى ..

قد فهمت من القدمْ ..

* * *

لوحة فى مجلة (.........) :

هذه اللوحة من صديقة الركن الفنانة الشابة (هـ . أ . ن) .. تستعمل الألوان ببراعة حقًا ، لكن الموضوع شنيع . ألا ترين هذا معى ؟.. هناك صف من الشباب مقيدين يمشون نحو مقصلة .. وهناك من طارت رأسه فعلاً ، والدم يلوث كل شىء . صحيح أن المذابح ولحظات الإعدام استخلص منها رسامون عظام مثل (جويا) و(روبنز) لوحات رائعة ، لكنى مصر على أن مزاجك دموى فعلاً .. القسوة تزن أكثر بكثير من الفن فى لوحاتك ..

أنشر اللوحة مع نصيحة أخوية ، هى أن تطلبى رأى طبيب نفسى . لا أمزح . إن الرسم من طرق العلاج الجماعى المعروفة ، وهناك من يجد فى الرسوم اعترافات صادقة بما يدور فى العقل الباطن .

بالمناسبة : ما سر حرف (العين) المتكرر فى اللوحات بهذا الشكل ؟.. تستعملينه كوحدة زخرفية فى كل شىء .. ولماذا تفرطين فى رسم الأحذية ؟.. فى كل لوحة هناك حذاء غليظ تثبت المسامير إلى نعله .. ليس موضوعًا مغريًا لهذه الدرجة .

أكرر : أنت موهوبة .. تنقصك الدراسة .. ينقصك طبيب نفسى ..!

* * *

عزيزى أشرف :

للمرة الثانية تلقيت دعوة من جمعية (أطباؤنا فى الخارج) تلك .. كالعادة الدعوة موقعة باسم النائب (محمد التونى) . هل تذكر رجل الأعمال البريطانى (معتز الشيخ) ولقاء الأطباء المصريين الذين استقروا بالخارج ؟

إن مزاجى سيىء بعد قصة (علاء الشناوى) هذه ، وبعد قضاء وقت لا بأس به فى بيت أسرته .. طبعًا يمكن تخيل ثقل لحظات كهذه .. إن المرء لا يفقد صديقًا كل يوم ، لكن الأسوأ أن يكون عليك أن تعزى أسرة هذا الصديق وتشرح لهم لماذا لم تقم بواجبك وتموت أنت ..

كنت أنوى التنصل من الدعوة ، لكنى وجدت أن بعض التغيير قد يفيدنى ..

كنت أنوى التنصل ، لكنى بينى وبينك أحببت هذا الجاتوه صغير الحجم الذى يثبت على عود خلة ، والذى لا أعرف اسمه لأننى منحط ..

بما أن موعد سفرنا إلى كندا اقترب فقد قررت أن أذهب هناك مرة أخيرة . آكل دستة من هذا الجاتوه وأشرب كل تلك المشروبات الحمراء والصفراء (وهى لا تحتوى الخمور طبعًا) . وبالفعل ذهبت هناك فوجدت وجوهًا مختلفة تمامًا .. قليل جدًّا ظل فى مصر حتى اليوم .. أغلبهم عاد لعمله بالخارج .. الوجوه

الجديدة وصلت مصر فى الفترة الأخيرة ووجدوا طريقة للاتصال بها كالعادة ..

قال لنا (معتز الشيخ) وهو رجل ظريف كما قلت لك إنه يأمل أن نجد بعضنا على الدوام وأن نتواصل . فليحك كل مشكلته ويطلب من الآخرين حلها . طبعًا ظل الجالسون جالسين كما هم فى ارتياب .. لا أحد يعرض مشاكله بهذه البساطة .. ليس من أول مرة ..

بعد هذا شاهدنا على الشاشة عرضًا تقديميًا مملاً كالجحيم عن أهداف الجمعية وإنجازاتها . العرض أعدته تلك الفتاة (هبة) خريجة الجامعة الأمريكية .. ثم بعد أن كادت أرواحنا تغادر الصدور دعانا إلى أن نقف حدادًا على ثلاثة من خيرة الأطباء المغتربين الذين لم يكتب لهم أن يعودوا للخارج ، ودفنوا فى وطنهم الأصلى ..

هناك (عصام مصطفى) الذى عرفته وعرفت زوجته .. فليرحمه الله ..

هناك طبيب مقيم فى الولايات المتحدة اسمه (عزمى إسكندر) .. صورته صورة رجل وسيم أنيق موح بالثقة .. فليرحمه الله ..

هناك من يدعى (عادل عبد المقصود) .. من الولايات المتحدة ..

غريب أن يموت ثلاثة فى هذه الفترة القصيرة .. على كل حال أنا أذكر وجه الثالث من الاجتماع السابق ..

مال على ذلك الطبيب (على القصراوى) الذى يعمل فى ألمانيا فى جراحة أورام المخ ، وقال :

ـ « تصور !.. كلهم قتلوا ! »

نظرت له فى غباء غير فاهم .. فقال فى غموض :

ـ « طلقة فى الرأس .. مسدس كاتم للصوت ثم يفر القاتل .. هناك سباك بائس يتهمونه بمقتل الطبيب الثالث لكن هذا كلام فارغ .. ألا تقرأ الصحف ؟ »

قلت فى خجل :

ـ « نعم .. الحقيقة إننى لا أقرؤها فعلاً .. »

وفكرت فى عمق .. إلام يشير هذا ؟.. هل كان من الممكن أن يكون العدد أربعة ويكون الطبيب الرابع يعمل فى الكاميرون فيما يدعى وحدة سافارى ؟.. كل شىء يشير لهذا ..

أعتقد إننى أرى خيوط العنكبوت تحتشد ومعها علامات استفهام كثيرة جداً ..

أخرجتنى من خواطرى السوداء ضحكة فتاة ثم يد تلمس كتفى .. نظرت لأجد أن (هبة) هذه تمد لى يدها مصافحة ..

ـ « (هبة نافع) .. AUC .. ومنسقة هذا الاجتماع .. »

كانت جميلة .. لكنها ليست من طرازى .. هى من الطراز العملى الأنيق بالتايور والعوينات والشعر الثائر .. أنا أفضّل طفلة رقيقة أقرب للقطط مثل (برنـادت) أو غزالاً أسمر خارجًا من الأدغال مثل (أونوابا) ، لكن أعتقد أن لها معجبين كثيرين .. يمكنها أن تعيش من دونى .. فما سر اهتمامها ؟

قلت لها :

ـ « (علاء عبد العظيم) .. وحدة سافارى .. لـو كنت تنوين سؤالى عن وحدة سافارى فأنا .. »

ـ « أعرف .. أعرف .. لقد بحثت عنها على شبكة الإنترنت »

لماذا أشعر بهذا الحنين كلما تلفظت باسم (سافارى) ؟.. صار لها نفس رنيـن ووقـع (شبرا) .. كلمـا قرأت اسم (سافارى) علـى مطعم أو منشورًا سياحيًا لشرم الشيخ ، أو طرازًا لبذلـة شبابية ، شعرت بخفقة فى قلبى .. كأنهم يتكلمون عن حبيبتى .. أحب أن يتكلموا عنها طيلة الوقت ، وأحب أن يجهلـوا كل شـىء عنها لتكون لى وحدى !

لقد تغلغل ذلك المكان اللعين فى أعماقى لدرجة غير مسبوقة .. تبًا !

ناولتنى هبة بطاقة ، وقالت لى :

ـ « هذا رقم هاتفى المحمول وعنوانى .. لو أردت أى شىء بصفة شخصية فأنا تحت أمرك .. »

ـ « هذا الاهتمام يشرفنى .. لكن يسعدنى أن أعرف سببه .. »

ـ « أنت موشك على الرحيل .. وزوجتك تنتظر حدثًا سعيدًا كما قرأت فى الأوراق .. هذان سببان ممتازان .. »

كنت أكلمها وأنا أرمق أظفار يدها .. الأظفار التى تآكلت حتى منتصفها تقريبًا تاركة سطحًا عاريًا من اللحم المجعد المشوه .. عندما مالت برأسها لأسفل رأيت تلك البقعة الخالية من الشعر .. الأمر واضح .. هوس نزع الشعر **tricotellomania** وقضم الأظفار حتى توشك على قضم السلاميات نفسها .. هذه الفتاة متوترة .. متوترة لدرجة لا توصف .. ربما تقترب من الخبال ..

ربما يبدو الأمر تبسيطًا مخلاً ، لكن أمى كانت ستصفها بأنها (غِلاوية) بكسر العين وتشديد اللام ، وهو وصف قريب جدًا من الدقة ..

على كل حال شكرتها بشدة .. وانصرفت ..

هل تتصور أنها اتصلت بى بعد هذا بساعات ؟.. لهذا قصة أحكيها فيما بعد ... يمكن أن أفعل الآن لكنى أريد استفزازك كما تعلم !

عـــــلاء

* * *

عزيزى علاء:

كل شىء عفن ومريب فعلاً .. فقط أريد أن أسألك .. هل أنت واثق من أن جرّاح الأعصاب الألمانى هذا بخير ؟.. تذكر أن اسمه (على) !

* * *

- 6 -

باقى خطاب أشرف :

لا أدرى إن كنت لاحظت هذا أم لا ، لكن الأسماء التى ذكرتها كلها تبدأ بحرف (ع) : (عصام) .. (عزمى) .. (عادل) .. (علاء) ..

يبدو لى كأن هناك قاتلاً لديه مشكلة مع الأطباء الذين يبدأ اسمهم بحرف (عين) ، أم هى المصادفة ؟

لو كنت مكانك لحذرت كل من يبدأ اسمهم بهذا الحرف ، وأولهم (على) هذا ..

من الواضح أن موهبتك تلاحقك .. هذه إجازة قصيرة جداً وبرغم هذا كدت تقتل فيها وما زلت .. أهنئك ! . هذا هو علاء صديقى الذى كان أبى يصاب بنوبة قلبية عندما يزورنى ..

بخصوص تلك المكالمة ، لا يعنينى سماع شىء .. الموضوع لا يهمنى ..

لا أوصى بشىء يا علاء سوى أن تعجل برحيلك بسرعة . اتصل بشركة الطيران وحاول أن تجد طائرة اليوم أو غدًا على الأكثر .. سوف أطمئن أكثر عندما أعرف أنك ذهبت (فى داهية) بعيدًا عن أرض مصر .

أشــــرف

* * *

عدد قديم من مجلة (..........) :

د. شريف الدخيلي محرر باب (النفس المطمئنة) :

للمرة الثانية أكتب لك يا د. شريف . للمرة الثانية تتجاهل رسالتى مما يجعلنى أشك فعلاً فى صدق هذا الباب . قلت لك إننى فتاة ظفرت بدراسة ممتازة ويقول الجميع إننـى ذكية وجميلة .. هذا ما يقولون .. صحيح أن دراستى جعلتنـى أقرب إلى الثقافة الغربية ، لكننى ظللت أحتفظ بعقل وقلب فتاة شرقية ..

هذه الفتاة الشرقية تعلقت جداً بطبيب شاب وسيم مثقف اسمه (ع) .. تعلقت به إلى حد غير مسبوق ، بحيث لم يعد فى عقلى سواه .. هو كان رومانسياً لطيفـاً مهذبـاً ، وكـان يتقن تلك اللمسات التى تخلب عقل الأنثى مثل أن يتذكر عيد ميلاد خالة عم أبى ، وأقول له ذات مرة بلهجة عابرة إننى أحب اللون الرمادى فأجد ربطة عنقه رمادية فى المرة التالية ، ويغمرنـى فى عالم رمادى اللون .. يغمرنى بالهدايا والكلمات التى هى أجمل من الهدايا .. والنظرات التى هى أجمل من الكلمات .. كنت كل شىء تحت سماه وكان كل شىء تحت سماى ..

هكذا يتسلل الحب لقلب فتاة لا ترى أباها ولا أمها تقريبًا .. إنهما منفصلان ، وأقيم مع أبى لكنى لا أراه .. النجاح المادى يعنى فشلاً أسريًا على الأرجح ..

(ع) كان هناك ليصير لى الأم والأب والأخت والغد والماضى ..

كل هذا دام ثلاثة أعوام ، ثم اصطحبنى يوم شم النسيم إلى حقل ساحر أقرب للحلم . هناك أغمض عينه ودنا منى .. دنا منى على صوت الموسيقا ، وقال بصوت كالهمس :

ـ « أنا مسافر إلى الخارج ! .. يجب أن ننهى كل شىء ! »

نظرت له فى ذهول فقال برقة إننا استمتعنا معًا ، وصار الوقت مناسبًا للتفكير فى الغد .. هو سيهاجر للخارج وأنا سأتزوج .. سألته ما المانع أن نتزوج ونسافر معًا ؟.. قال بنفس الرقة : إننى لست من طرازه ولا يشعر أننى مناسبة لحياة كفاح مشتركة .. وعلى حد قوله :

ـ « عندما أعتزم أن أتنزه فى الحديقة أنتعل حذاء مطاطيًا خفيفًا ، لكن لو أردت تسلق الهيملايا فعلى أن أنتعل حذاء غليظًا مزودًا بالمسامير ! »

إذن أنا حذاء مطاطى خفيف ! .. كان قاسيًا وغدًا .. وعرفت أنه امتلأ منى حتى بلغ مرحلة الازدراء . هكذا تركته حيث هو وانصرفت بلا كلمة واحدة .

بعد أيام قرأت خبر زواجه فى مجلة ما .. ورأيت العروس .. الحذاء الثقيل المزود بمسامير .. كانت أعز صديقة لى .. هو لم يدخر وسعًا كى يجعل صفعته لى قوية مهينة محسوسة ..

اعتدت النوم باستعمال أقراص منومة ، ثم لا أعرف متى بدأت أتعاطى بعض الأشياء التى تعطينى إياها صديقاتى .. لقد تبدلت حالتى النفسية تمامًا .. كنت أرى الكوابيس أثناء النـوم ، ثـم تعلمت أن أراها فى اليقظة .. بمعجزة استطعت ألا أجن .. ربما جننت لكنى لا أعرف هذا ..

حقد مروع استبد بى .. حقد لن يخمده سوى رؤية الدم والألم .. لن تتصور عدد المرات التى قطعت فيها صورته باستخدام أحد برامج رسم الكمبيوتر وألصقتها على جسد جثة أو شخص يحترق .. إن عندى مئات الصور بهذا الشكل ..

باختصار أنا أتحول إلى سفاح .. أتحول بسرعة جهنمية .. لقد سافر للخارج ليبدأ حياته بعد ما قضى على حياتى أنا ، لكن هاجس الانتقام يطاردنى أربعًا وعشرين ساعة .. أقضم أظفارى حتى يسيل منها الدم وأتسلى بتمزيق لحم ساعدى ..

هل عندك حل ؟

المعذبة (هـ . أ . ن)

* * *

عزيزتى (هـ . أ . ن) :

لم تكن صدمتك هينة بالطبع لكن كل إنسان يتلقى صدمات مماثلة طيلة الوقت ويظل حيًا . الحياة سوف تستمر طبعًا وهناك فترة مرارة لابد منها . أما بالنسبة لخواطر الانتقام وكل هذه الأشياء الطفولية فأنا أعرف أنها مجرد وسيلة للتنفيس ، لكن ما حدث قد حدث .. يجب أن تنظرى إلى الغد ، ولعل هذه هى الحقيقة الوحيدة الى أوافق عليها فى كلامه ..

لما كانت قصتك تحتوى عنصر الإدمان فإننى لا أرى أنك قادرة على مواجهتها وحدك . أقترح أن تقومى بزيارة طبيب نفسانى أو زيارتى فى مركز (النفس المطمئنة) لمساعدتك على الخروج من هذا النفق .

د. شريف الدخيلى

* * *

من صفحة الاجتماعيات بمجلة (..) عدد قديم :

فى حفل بهيج بقاعة (الرياحين) بفندق (.........) أقيم حفل زفاف الدكتور (عاصم عبد الرحمن الفقى) إلى الدكتورة (ماهى أحمد عطية) . حضر الحفل عدد كبير من أهل العروسين وأصدقائهما . وقد قام بإحياء الحفل الذى استمر حتى الثالثة صباحًا عدد كبير

من نجوم الفن والغناء فى مصر . من المعروف أن العروس حاصلة على الجنسية الأمريكية ، وسوف يسافر العروسان إلى الولايات المتحدة بعد شهر العسل . ألف مبروك للعروسين .

* * *

من صفحة الحوادث بجريدة (..) عدد قديم :

تقدم رجال الأمن بفندق (........) ببلاغ إلى الشرطة ، مؤكدين أنهم رأوا فتاة تحاول التسلل إلى الفندق ليلاً أثناء حفل زفاف أقيم فى إحدى القاعات ، وقد أثار منظرها المريب وارتباكها ريبة رجال الأمن . عندما استوقفوها سائلين عن هويتها بادرت بالفرار وقد سقط من ثيابها خنجر كبير كانت تخفيه تحت شال تضعه على ذراعها . لم يتمكن رجال الأمن من اللحاق بها لأنها غابت فى الزحام خارج الفندق ، لكن الحادث أثار قلقهم . قام رجال الشرطة بتشديد الحراسة على مداخل الفندق الشهير ، كما أصدر العميد (..........) أوامره بتكثيف البحث عن الفتاة وسرعة ضبطها ، وتم تسليم الخنجر للمعمل الجنائى .

* * *

خطاب بتاريخ قديم :

عزيزى أستاذ محمد التونى :

لم أكتب لك منذ زمن بعيد ، وأنا أعتذر عن هذا ، لكن عهدتك كريمًا تعطى ولا تأخذ ، مما دفعنى إلى أن أطلب منك خدمة . سوف تقابلك فتاة تدعى (هبة) تحمل بطاقة توصية منى .. أعترف لك أنها واحدة من مريضاتى وقد عالجتها بنفسى فى المركز ، لكنى أضمن كذلك أنها ذكية جدًا وبصحة عقلية ممتازة حاليًا . لا أملك أن أقدم أية تفاصيل عن مرضها بالطبع ، لكنها تعرضت لصدمة قوية وهى الآن موشكة على التعافى منها . مثقفة وتجيد اللغة الإنجليزية والفرنسية ، وتتعامل مع الكمبيوتر ببراعة ، وحاصلة على درجة فى إدارة الأعمال . أطمع فى أن تجد لها عملاً فى جمعيتكم التى تتعامل مع الأطباء المقيمين فى الخارج .

هذا جزء مهم من العلاج ، ولما كنت لا أعرف سواك فقد خطر لى أنك تستطيع مساعدتى . أعتقد أنها ستكون سكرتيرة ممتازة بالإضافة إلى أنها حسنة المظهر .

كلى أمل فى أن تسدى لى هذه الخدمة . وهى لن تعترض على أى راتب لأنها ميسورة الحال أصلاً ، وهى تعمل لأن العمل مهم لحالتها النفسية لا أكثر .

مع جزيل الشكر .

د. شريف الدخيلى

خطاب بتاريخ قديم :

عزيزى د. شريف :

طبعًا يسرنى أن أقبلها .. ما دامت من طرفك فهى هدية ثمينة ولا شك ، ولن أسأل عن شىء ، لكنى أرجو أن تكون صريحًا لو كان الأمر يتعلق بإدمان معين ، فقد علمتنى التجربة أن المدمن يجلب المشاكل لنفسه ولكل من يحاول مساعدته . لا أمل فى إصلاحهم .. أعرف أن هذا يثير غيظك باعتبارك طبيبًا نفسيًا لكنى أتحدث بلهجة رجل أعمال لا يفقه شيئًا فى الطب .. فقط أملك خبرتى اليومية .

مع الشكر .

محمد التونى

* * *

خطاب بتاريخ قديم :

عزيزى أستاذ محمد التونى :

سأكون صريحًا معك وأحكى قصتها بالتفصيل تاركًا الأمر لك ، وإن كنت أضمن سلامتها العقلية ولو كانت هذه مؤسستى لقبلتها بلا تردد .. على كل حال القصة كما يلى ....

- 6 -

كشف حساب خاص بمصرف (........) :

حركة حسابات العميل/ هبة أحمد نافع . رقم حساب (....................) دولار

12 أغسطس	سحب	$200
26 أغسطس	سحب	$200
2 سبتمبر	سحب	$200
5 سبتمبر	سحب	$200

★ ★ ★

صفحة الحوادث فى جريدة (..) :

مسلسل مقتل الأطباء مستمر

محمد حمزة : يبدو أن مسلسل مقتل الأطباء مصمم على الاستمرار بنجاح ، ومن الغريب أن أحدًا لم يعلق أو يبد أية ملاحظة على أن الموضوع زاد على الحد. أمس شهدت مدينة المنصورة مقتل طبيب من أبنائها هو د. (على القصراوى 50 سنة) الذى هاجر إلى ألمانيا منذ عشرين عامًا ، وصار من الأسماء اللامعة فى

جراحة أورام المخ . جاء إلى مصر فى عطلة قصيرة مع أسرته حيث أقام في بيت أهله بالمنصورة . قررت الأسرة الخروج مساء ونزل هو أولاً ليدير محرك السيارة ، وعندما لحق به أفراد الأسرة وجدوه ميتًا خلف المقود وقد اخترقت طلقة رصاص جبهته . كالعادة من الواضح أن الطلقة أطلقت من مسدس كاتم للصوت لأن أحدًا لم يسمع أى شىء .

هكذا يكون الطبيب القتيل هو الخامس فى سلسلة مقتل عدد من الأطباء ، هم (عصام مصطفى) و(عزمى إسكندر) و(عادل عبد المقصود) و(علاء الشناوى) . وكلهم ممن يعملون بالخارج باستثناء (علاء الشناوى) .

نحن نطالب بالتحقيق فى وجود رابط بين مصرع هؤلاء الأطباء . وألا نركن إلى فكرة الصدفة . طريقة القتل تتشابه فى كل الحوادث مما يطرح أسئلة كثيرة.

* * *

العزيزان د. (عمر التهامى) / د. (عوض لوقا) :

أنتما تعرفاننى لأننا التقينا فى ندوة أو مؤتمر (أطباؤنا فى الخارج) وقد عرفت العنوان البريدى من تلك القائمة التى وزعوها علينا . أكره أن أثير رعبكما لكننى سأندم بشدة لو اتضح أننى

على حق .. أعتقد أن هناك مجنونا ما يلاحق الأطباء القادمين من الخارج والذين يبدأ اسمهم بحرف (عين) . هذا يجعلنا نحن الثلاثة مرشحين بقوة لأن نكون الضحايا القادمين ، وأعتقد أننى كنت بالفعل فى طريقى لذلك لولا أن القاتل خلط بينى وبين صديقى (علاء الشناوى) يرحمه الله ..

لا أعرف السبب ولا التفسير .. لكنى أتوسل لكما أن تأخذا الحذر .. لو كان بوسعكما مغادرة مصر حالاً والعودة لعمليكما فى الخارج فلتفعلا هذا بسرعة ..

خمس ضحايا حتى اللحظة ليس بالعدد الهين أو البسيط .. إن ما يحدث مخيف ..

أكرر : لا أطلب الذعر بل الحذر .. يمكنكما الاتصال بى فى أى وقت ..

مع الشكر

د. علاء عبد العظيم

عزيزى أشرف :

ما زلت مجاملاً رقيقًا كعهدى بك .. تريد أن أذهب فى (داهية) ..

حسن .. سأحكى لك سواء كان الأمر يعنيك أو لا يعنيك ..

بعد ساعات من هذه المقابلة دق جرس الهاتف .. سمعت صوت فتاة لا أعرفه يسألنى إن كنت (علاء) .. أهلاً يا دكتور .. أنا (هبة) سكرتيرة (أطباؤنا فى الخارج) . إن رقم هاتفى معها وكذلك عنوانى طبعًا ..

ماذا تريدين منى ؟.. قالت كلامًا فارغًا كثيرًا عن أهمية ترابط الأطباء فى الخارج معًا ؛ لأننا أكثر من سوانا نعطى صورة عن مصر .. نتعامل مع الموت والحياة ، وفى الآن ذاته يجب أن نكون نموذجًا لأرقى عقلية ممكنة .

جميل جدًا .. ماذا تريدين منى ؟..

سألتنى عن رأيى فى صداقة الرجل والمرأة .. هل هى ممكنة أم لابد أن تتخذ هذا الطابع العاطفى المزعج ؟.. بصراحة يا أشرف أنا سمعت هذا الكلام طيلة حياتى حتى ضاق صدرى ولم أعد أتحمل سماع أكثر . لو سألت نفسى هذا السؤال لما وجدت إجابة . هناك كلمات لكناها فى فمنا حتى لم يعد لها معنى .. هل يجب علينا العودة لتراثنا أم علينا أن نطلع على تراث الغرب ؟.. هل صداقة الذكر

والأنثى ممكنة ؟.. هل الخلل فى التعليم راجع للبيت أم المدرسة ؟.. فلتفعل أى شىء لكن تحرك وكف عن الكلام من فضلك ..

إذن .. ماذا تريدين منى يا أخت (هبة) ؟.. ما زلت لا أعرف ..

سألتنى عن أية خبرات مزعجة لى فى هذه الإجازة فحكيت لها عن فقد (علاء الشناوى) .. وكيف حدث هذا على بعد نصف متر منى .. بدا على صوتها الذعر وقالت إنها آسفة .. لابد أنها خبرة مروعة ..

كانت مهتمة بمعرفة صفات القاتل كما رأيته ، فقلت لها إننى أعرفه لو قابلته لكنى لا أملك أية صفة .. إنه الشخص الذى لايمتاز بشىء .. سمعت أحد رسامى الكاريكاتور المصريين يتمنى لو فاز (جون كيرى) بالانتخابات الأمريكية بدلاً من (بوش) لأن (كيرى) ملامحه مميزة وسهل الرسم جداً ، بينما (بوش) أصعب ..

ضحكتْ وقالت إننى ظريف فعلاً .. قلت إننى أعرف هذا .. ثمة شىء غير مريح فى هذه الفتاة ، ومن الممتع أن تكون سمجاً معها .. قالت لى إنها تريد أن ترانى اليوم لتشرح لى تصورها للمرحلة القادمة .. إلخ .. بصراحة كانت برنادت مريضة جداً ، وأمى مريضة مرهقة وجو البيت مزعج بما يكفى ، فاعتذرت .. ليس لدى بال رائق لهذا ..

قالت لى إن بوسعى تأجيل اللقاء لكن لابد من واحد قبل سفرى . اعتذرت .. هنا بدأت تلتهم نفسها بالمعنى الحرفى للكلمة .. عصبية فعلاً .. توشك على أن تزأر ..

كررت اعتذارى وأنهيت المكالمة ..

غريب أن يتحمس أحد لهذه الدرجة من أجل (روابط الصداقة بين الأطباء العاملين بالخارج) . ما رأيك ؟

علاء

- 6 -

تفريغ حوار مسجل بين العقيد (سيد البحيرى) والدكتور (نجيب سليمان) أستاذ علم نفس الجريمة :

عقيد البحيرى : أعتذر يا دكتور إن كانت طريقة تسجيل الحوار لا تريحك .. لكنى بالفعل بحاجة ماسة إلى أن أسمع ما تقوله عدة مرات .. لا أريد أن أعتمد على الذاكرة وهى مخادعة ..

د. نجيب : لا عليك .. هذا يريحنى .. على الأقل لن أكتب تقارير ..

عقيد البحيرى : أكره أن أقول هذا ، لكن من الواضح أننا نواجه سلسلة جرائم يقوم بها الشخص ذاته أو الجهة ذاتها .. أنتم تطلقون على هذا مصطلح ...

د. نجيب : القاتل التتابعى أو المتسلسل Serial killer .. هذا مصطلح يحبه الإعلام جداً .. ابتكره عميل الـ FBI الأمريكى (روبرت رسلر) فى السبعينات ..

عقيد البحيرى : لدينا إذن قاتل تتابعى مولع بقتل الأطباء .. يقتلهم بطلقة فى منتصف الجبهة وباستعمال كاتم صوت .. هو بارع جداً يعرف تحركات الضحية ومتى تهرب .. هناك سرقات لكن رأيى الخاص أنها تمت بغرض التمويه لا أكثر ..

د. نجيب : هل من سمات أخرى مشتركة ؟

عقيد البحيرى : لاحظنا أن اسم الضحية يبدأ بحرف العين دائمًا .. لولا جريمة واحدة غير مبررة لقلنا إنه يقتل الأطباء العاملين بالخارج والذين جاءوا فى إجازة لمصر ، لكنه خرق القاعدة ذات مرة .. ولربما لا .. لربما كان الطبيب المغترب هو هدفه منذ البداية ..

د. نجيب : هم جميعًا متزوجون ؟.. هل من أجنبيات ؟

عقيد البحيرى : لا توجد قاعدة هنا .. واحد من الضحايا أعزب .. منهم من تزوج أجنبية ومنهم من تزوج مصرية .. السن تتراوح بين 35 و50 سنة ..

د. نجيب : هذا يسهل الأمور .. يمكن تحذير ومراقبة أى طبيب تنطبق عليه الشروط ..

عقيد البحيرى : نحن نراقب ثلاثة الآن .. لكن أريد التأكد من صحة الفرضية .. للمرة الأولى نتعامل مع قاتل تتابعى فى مصر ..

د. نجيب : هذا خطأ شائع .. هناك كثيرون ..

عقيد البحيرى : مثل (ريا وسكينة) ؟.. كانتا تقتلان للسرقة .. حسبت القاتل التتابعى مريضًا نفسيًا دائمًا..

د. نجيب : هذا صحيح .. القاتل بغرض السرقة لا يعد تتابعيًا .. يجب أن نتفق أولاً على مفهوم القاتل التتابعى .. إنه القاتل الذى يقتل لأسباب نفسية أكثر من شخص مع فترات هدوء بين جريمة وأخرى .. هنا يختلف عن الـ Spree murderer أو (القاتل الانغماسى) الذى يقتل عددًا كبيرًا من الناس مرة واحدة وفى عدة أماكن فى نفس الوقت تقريبًا .. والقاتل الجماعى الذى يقتل عددًا من الناس فى مكان واحد .. الطالب الأمريكى الذى يقتحم المدرسة ليفرغ بندقية آلية فى الطلبة هو قاتل جماعى .. أحيانًا يطلقون عليه Amok ..

عقيد البحيرى : لكن القاتل التتابعى مجنون ..

د. نجيب : بالعكس .. لهذا يُعدَمون عندما يقبض عليهم .. إن القاتل التتابعى سايكوباث لا يتكيف مع المجتمع لكنه ليس مجنونًا .. على كل حال وضع الأمريكان قواعد عامة للقاتل التتابعى .. غالبًا هم ذكور بيض شديدو الذكاء .. وبرغم ذكائهم سجلهم فى المدرسة يبعث على الخزى .. جاءوا من أسر غير مستقرة وربتهم أمهات متسلطات .. غالبًا ما تعرضوا للضرب فى طفولتهم بعنف .. لديهم ميول انتحارية عالية وكانوا يبللون الأسرة ليلاً حتى سن 12 .. يحبون إشعال الحرائق وتعذيب الحيوانات الصغيرة ..

عقيد البحيرى : فيما عدا موضوع عدم الاستقرار العائلى، يبدو لى أنك تتكلم عن ابنى ! .. ربما كان من الأفضل أن أقتل هذا الوغد من الآن لأوفر على نفسى متاعب جمة !

د. نجيب : هذا هو المفهوم الاستعادى Retrospective .. لا يجب أن يصير من يحمل هذه الصفات قاتلاً .. لكن عندما تقبض على قاتل فمن الوارد جدًا أن تجد هذه الصفات . لا يجب أن يصاب كل من يتعاطى الأسبيرين بقرحة معدة .. لكن الأرجح أن تكتشف أن المصابين بقرحة معدة كانوا يتعاطون الأسبيرين .. هل تفهم كلامى ؟

عقيد البحيرى : لا .. لكن أكمل ما تقول ..

د. نجيب : ليس كل هؤلاء رجالاً .. هناك امرأة بين كل ستة قتلة تتابعيين .. هن يفضلن السم فى العمل ويفضلن الضحايا الأضعف . يقتلن غالبًا فى البيت لا فى الخارج ..

عقيد البحيرى : ونوعية الضحايا ؟

د. نجيب : سؤال مهم .. القتلة التتابعيون يفضلون قتل النساء الغريبات عنهم .. هناك دوافع منحرفة للقتل طبعًا ..

عقيد البحيرى : هذا يدفعنى للسؤال عن سبب القتل ؟.. هل كل هذا نداء خفى يأمره بأن يفعل ؟

د. نجيب : سؤال مهم أيضًا .. من تتكلم عنه هو (الطراز الخيالى) .. وهو الذى يعتقد أن الله أمره بذلك .. أو أنه يقوم بمهمة مقدسة لإنقاذ الجنس البشرى .. هذا الطراز معروف ولعله الأشهر .. الطراز الثانى هو (صاحب الرسالة) الذى يعتقد أنه يخلص البشرية من الأطباء أو الحلاقين مثلاً .. الطراز الثالث هو (طالب المتعة) وهذا يجد لذة فى قتل الناس .. إنه سادى يستمتع بتعذيب الضحية وخوفها .. ربما هو مدمن إدرينالين يبحث عن الإثارة كالتى نشعر بها عند صيد الحيوانات .. بل إن بعضهم يطلق سراح الضحية عدة مرات ليكرر لذة الصيد. (تيد بوندى) كان يفعل ذلك ..

عقيد البحيرى : اشرب الليمون يا دكتور .. هيا ..

د. نجيب : حسن .. لكن ما علاقة هذا بـ .. ؟

عقيد البحيرى : سأسألك حالاً .. هل هناك (موديلات) مختلفة لهؤلاء القتلة ؟

د. نجيب : سؤال مهم كذلك ...

عقيد البحيرى : ما شاء الله .. هذا يوم الأسئلة المهمة ..

د. نجيب : يقسمونهم فى الـ FBI إلى (المنظم) و(غير المنظم) و(الخليط) .. المنظم رجل شديد الذكاء يقوم بتخطيط دقيق .. يخطف ضحاياه لمكان ويتخلص منهم فى مكان ، طبعًا بعد فترة مراقبة لا بأس بها .. من أشهر هؤلاء السفاح (تيد بوندى) الذى خدع الكثيرات . هذا القاتل له خبرة بالطب الشرعى ويعرف كيف يخفى آثاره .. إنه الطراز الذى يشهق الجيران عند اعتقاله ويقولون فى دهشة : إنه رجل لطيف لا يمكن أن يؤذى قطة ! القاتل غير المنظم هو حيوان غبى .. يقتل من يراه ويتركه فى مكان الجريمة .. يصفه معارفه بأنه غريب الأطوار وجيران يخشونه من قبل أن يفعل أى شىء .. وغالبًا ما ينحدر المنظم إلى غير منظم مع الوقت ..

عقيد البحيرى : بم تشخص ما نحن بصدده اليوم ؟

د. نجيب : على قدر المعطيات .. هذا قاتل تتابعى منظم .. عالى الذكاء .. من الطراز (صاحب الرسالة) أو هو ينتقم من نمط معين من الأطباء الذين يحملون الحرف (عين) ويعملون بالخارج .. أعتقد أن عليكم البحث عن طبيب يبدأ اسمه بحرف (عين) عمل فى الخارج وارتكب خطأ شنيعًا بحق شخص هنا ..

عقيد البحيرى : هل يمكن جعل المهمة أسهل ؟

د. نجيب : للأسف لا .. إلا لو انتظرتم .. مع الوقت سوف ينحدر القاتل لدرجة (غير المنظم) وتقصر الفترات بين جرائمه .. عندها سيرتكب خطأ ويسقط فى أيديكم ..

عقيد البحيرى : وحتى تلك اللحظة .. كم سنفقد من الأطباء ؟

د. نجيب : لابد أن تحموا كل طبيب تنطبق عليه الشروط .. والأهم هو أن تعرفوا كيف يجدهم ..

عقيد البحيرى : هل تعرف ؟.. هذه هى بداية الخيط الحقيقية .. من الشخص القادر على أن يعرف بعودة أطباء يحملون حرف (عين) من الخارج ؟.. هذه هى النقطة المهمة ..

* * *

- 7 -

تحقيق الشرطة :

س : اسمك وسنك وعنوانك ..

ج : عوض لوقا ميخائيل .. 44 سنة .. حاليًا أنا في الإسكندرية لكني أصلاً أعمل في (بريطانيا) .. طبيب أمراض نساء ..

س : ما هي أقوالك ؟

ج : في البدء كانت هذه الرسالة التي وصلتني من طبيب اسمه (علاء عبد العظيم) ، وهو يخشى على أن أتعرض لهجوم من ذلك المخبول الذي يقتل الأطباء .. رأيه أن كل من قتلوا يبدأ اسمهم بحرف (العين) وأنه تعرض لمحاولة مماثلة ..

س : هل اتخذت أية إجراءات احترازية ؟

ج : بالطبع لا .. ليس بوسعي أن أستأجر شركة حراسة ، والشرطة لن تصغي لكلام عام مثل هذا .. هكذا عدت أمارس حياتي غير مبال .. إنني عائد لانجلترا خلال ثلاثة أيام ومعي زوجتي وأطفالي الثلاثة هنا .. اليوم أخذت الأولاد إلى شاطئ المنتزه حيث قضينا يومًا ممتعًا ثم عدنا .. كانت الساعة الثامنة مساءً عندما نزلوا هم من السيارة

صاعدين للبيت ، واتجهت أنا إلـى المرآب الصغير أسفل البنايـة .. رفعت الزجاج وأوقفت المحرك .. هنـا رأيـت رجلاً يدخل المرآب ..

س : هل كانت له أوصاف معينة ؟

كان ظهره للباب الذى يأتى الضوء منـه .. علـى قدر مـا رأيت لا يوجد شـىء فـى ملامحـه يعلق بـالذاكرة .. هـو رجل كأى رجل آخر .. فقط كان يضع يده فى جيبه ..

س : وماذا حدث ؟

لا أعرف لماذا قررت ذلك ، لكننى أدرت المحرك من جديـد ووضعت قدمى على دواسة البنزين وحركت ذراع السـرعات لوضع القيادة .. هنا دنا من نافذة السيارة وأشار لى كى أنزل الزجاج من جديد .. ثم سـألنى بوجه ضـحوك مهذب : هل أنت د. (عوض لوقـا) ؟ هززت رأسى أن نعم . فـى اللحظة التالية كان يصوب مسدسًا له فوهة طويلة غريبة نحو رأسى .. أعتقد أن هذا شكل المسدسـات التـى ثبت لهـا كاتم صوت . وكانت قدمى أسرع من تفكيرى لأننى ضغطت الدواسة بسـرعة وانطلقت السيارة بسرعة البرق ، فـى ذات اللحظة التى ضغط فيها الزناد ، لأننى سمعت الزجـاج يتهشم من خلفى مع صـوت غـريب يشبه سدادة زجاجة

شمباتيا تنتزع .. كان قريبًا جدًا وأعتقد أننى بالتأكيد أصبته أو دست على طرف حذائه .. وفى لحظة كنت فى الشارع أوشك على أن أصطدم بسيل من السيارات القادمة ..

س : هنا طلبت المساعدة ؟

ج : حشد من الناس هرع إلى المرآب بناءً على استغاثتى ، لكن لم يكن هناك أحد .. ولولا أثر الرصاصة فى زجاج السيارة الخلفى لحسبونى أهذى .. لولا سرعة استجابتى وهذا التحفز لكانت جثتى فى المرآب الآن ..

س : هل لديك أعداء أو من تتهمه بهذا ؟

ج : أعدائى فى إنجلترا وليسوا هنا .. لا أحد يعرفنى فى مصر ..

س : كيف تتوقع أنه عرف عنوانك ؟..

ج : لا أعرف .. ليس هناك فى مصر من يعرفنى جيدًا .. لكن هناك جمعيةً خاصةً اسمها (أطباؤنا فى الخارج) دعتنا لاجتماعين عندها ، وطلبت منا ترك عناويننا وأرقام هواتفنا .. كان هناك كثير من الأطباء المغتربين هناك ومنهم هذا الـ (علاء عبد العظيم) .. إن بيانات هذه الجمعية يسيل لها اللعاب لأنها تضم كل طبيب مصرى يعمل بالخارج وموجود فى مصر الآن ..

س : هل تتهم هذه الجمعية بشيء ؟

ج : لا .. لكن من يستطيع الوصول لهذه السجلات يستطيع أن يجد كل واحد منا ..

س : هل لديك أقوال أخرى ؟

ج : نعم .. الأمر يبدو لى أقرب إلى مؤامرة خارجية تهدف لتصفية الأطباء المصريين العاملين بالخارج .. أقرب مثال فى ذهنى هو الرسائل الملغمة التى كان يتلقاها العلماء الألمان فى مصر .. العلماء الذين استقدمهم عبد الناصر لتطوير الصواريخ المصرية والسلاح البيولوجى .. كانت المخابرات الإسرائيلية ترسل لهم رسائل ملغمة .. يفتحها الواحد فتنفجر فى وجهه ليموت أو يتشوه أو يصاب بالعمى . أعتقد أننا نتكلم عن شىء مماثل هنا ..

ءءء

تقرير أمنى عن حوادث قتل الأطباء :

ما زالت علامات استفهام كبيرة تكتنف موضوع اغتيال الأطباء . لكن دراسة الملابسات والمحاضر والتحقيقات تجعل الاحتمالات تتركز فى اثنين لا ثالث لهما :

الاحتمال الأول : وجود سفاح حقيقى يتعقب الأطباء المصريين العاملين فى الخارج الذين يبدأ اسمهم بحرف (العين) . والسبب نفسى مرضى على الأرجح . لكن هذا يطرح سؤالاً عن مدى براعة هذا القاتل وسعة معلوماته ودقته فى التخطيط . طريقة القتل توحى بجهاز مخابرات عالى الكفاءة أكثر مما توحى بقاتل مريض نفسيًا .

الاحتمال الثانى : قضية أمن دولة كاملة الأركان ، حيث يقوم تنظيم إرهابى أو عصابى أجنبى بملاحقة الأطباء المصريين الذين يمثلون كنزًا معرفيًا بعد دراستهم وعملهم فى الخارج . الغرض التصفية أو إرهاب الآخرين حتى لا يعودوا لبلدهم ثانية . هذا الاحتمال يبرر دقة العمليات وبراعة التخطيط لها ، مع نوعية السلاح المستخدم . لكنه لا يبرر قتل أطباء معينين يبدأ اسمهم بحرف معين .

على الجهات الأمنية كل فى تخصصه اتخاذ الإجراءات التالية :

1 ـ تنظيم حماية فعالة للأطباء الموجودين فى مصر حاليًا ، وهذه ليست مهمة شاقة نظرًا لأن العدد ليس كبيرًا ، خاصة إذا تم انتقاء من يبدأ اسمهم بحرف (العين) .

2 ـ البحث عن مصدر تسرب معلومات تواجد هؤلاء فى مصر .

3 ـ هناك جمعية أهلية اسمها (أطباؤنا فى الخارج) عقدت عدة اجتماعات لهؤلاء الأطباء ، ويمكن أن تكون ستارًا لمعرفة هؤلاء وتعقبهم . يجب التحقيق فى أمر هذه الجمعية جيدًا . خاصة أنها العامل المشترك بين كل الأطباء القتلى .

- 8 -

ســعيدي :

أكره فعلاً أن أقوم بهذا الدور ، لكن هذه نتيجة صراع طال مع ضميرى المهنى .. هل الحفاظ على أسرار المهنة وثقة المريض أكثر قدسية من حياة الأبرياء ؟.. لا أدرى . على كل حال أنا اتخذت قرارى وكلى أمل فى شىء واحد ، هو أن تعفونى من الشهادة أو أية مواجهة مع مريضتى هذه فيما بعد. أرجو أن تقوموا بالتحريات بشكل منفصل عنى تمامًا .

تعرفون إننى أحرر زاوية اسمها (النفس المطمئنة) بمجلة (......) ، وهو نفس اسم المصحة النفسية التى أديرها . هذه دعاية طبعًا لكن أحدًا بالمجلة لم يعترض .. بدأت أتلقى خطابات من فتاة تدعى (هـ . أ . ن) وهو الاسم الذى عرفت أنه (هبة أحمد نافع) فيما بعد ..

هذه الفتاة مرت بتجربة قاسية عاطفية ، دفعتها إلى الإدمان دفعًا . وهى تحمل حقدًا مروعًا على طبيب شاب يدعى (عاصم عبد الرحمن) .. لقد صار يعنى لها كل شىء تقريبًا خاصة مع افتقارها للروابط الأسرية ، لكنه تخلى عنها وتزوج وسافر للخارج .

قمت بعلاج الفتاة لفترة ، فوجدت لديها أفكارًا دموية تتعلق بالانتقام .. تنفس عن كراهيتها بالرسم والشعر .. واعتقادى الخاص إنها تحسنت كثيرًا . هكذا سعيت لدى صديق من أصدقائى لتعيينها سكرتيرة فى جمعية خاصة تخص رجل أعمال يدعى (معتز الشيخ) والسكرتير صديق قديم اسمه (محمد التونى) . هذه الجمعية أنشئت حديثًا لإيجاد ترابط بين الأطباء المصريين العاملين بالخارج . من ضمن نشاطات هذه الجمعية معرفة عنوان كل طبيب مصرى يعود للوطن فى إجازة ، مع معرفة وقت زيارته وسبل الاتصال به.

هذا هو بالضبط الوقت الذى بدأت فيه جرائم قتل المصريين العائدين الذين يبدأ اسمهم بحرف (عين) .. جرائم لا يوجد مبرر واضح لها . فى البدء لم ألحظ ولم أعلق أهمية على الأمر ، ثم بدأت أتشكك .. صدفة غريبة فعلاً .. لو خرجت معلومات عن هؤلاء الأطباء فلسوف تخرج من تلك الجمعية ، ومن الأقدر على معرفة ذلك من السكرتيرة ذاتها ؟

أنا لا أتهم الفتاة بشىء ، فالأمر فى رأيى أكبر من قدراتها . لكن الأمر جدير بالتأمل والتحقيق .

لقد قابلتها متظاهرًا بأننى أطمئن على مريضتى لا أكثر . قالت لى إنها بحال ممتازة ، وقد تعمدت سؤالها عن مشاعرها تجاه الأطباء المقيمين بالخارج وعن حرف (العيـن) ، فلـم تعلـق .. بـدت غامضة جدًا وهذا أقلقنى أكثر مما لو أبدت جنونًا واضحًا .

إننـى أقـدم للمحققيـن كل مـا يحتـاجون لـه مـن معلومـات ، وبيانـات كاملة عـن المريضـة ، لكنـى أكرر طلبى بـأن أختفى تمامًا عـن هـذه القضـية لأن فى هـذا خرقًا واضحًا لشرف المهنة الذى يحتم الحفاظ على سرية حالـة المريض ومـا يقولـه لطبيبه . فقط لن أسامح نفسى لو هلك طبيب آخر يحمل حرف (عيـن) .

مع الشكر .

د. شريف الدخيلى

طبيب نفسى ومدير مركز (النفس المطمئنة) ..

* * *

صفحة الحوادث فى جريدة (.......) :

التحقيق يتواصل مع السكرتيرة المتهمة

محمد حمزة : تواصل النيابة التحقيق مع (هـ . ن) سكرتيرة الجمعية التى تتابع الأطباء المصريين العائدين من الخارج ، والتى وجهت لها تهمة تدبير قتل ستة أطباء نجا أحدهم . المتهمة ابنة رجل أعمال شهير ومن أسرة ثرية معروفة . تبين من بلاغ تقدم به د. شريف الدخيلى مدير مركز (النفس المطمئنة) للعلاج النفسى أنها مريضة نفسيًا وكانت تعالج من الإدمان مع اكتئاب حاد ، وأنها التحقت بالجمعية كخطوة علاجية للتأهيل . وقد قدم بعض الملفات التى تثبت هذا .

اتضح كذلك أنها كانت تسحب من حسابها المصرفى مبلغ 200 دولار أمريكى بشكل منتظم يتوافق تقريبًا مع حوادث الاغتيال ، وهو ما دعا المحققين إلى افتراض أنها كانت تدفع هذه المبالغ لقاتل مأجور أو جهة تقوم بتنفيذ العمليات حيث إن اثنين من الضحايا الناجين قالا إن المعتدى كان رجلاً يحمل مسدسًا .

يـرى رجـال الشـرطة أن دور المتهمـة انحصـر فـى جمـع معلومات كافية عن الضحية ، ثم القيام بدفع أتعاب منفذ العملية . لكن الفتاة تنكر الاتهامات جملةً وتفصيلاً .

قرر النائب العام منع نشر أية تفاصيل عن هذه القضية ، لأنها قد تمس الأمن العام ولأن التحقيق لم يستكمل بعد .

* * *

سـعيدي :

بصـراحـة أنـا فى غـاية الضيق لمـا تسـرب مـن نـاحيتكم عـن دورى فـى هــذه القضــية ، وعــن نشــر اســمى واسم المركز بوضــوح تـام فى الصـحف ، مـا يـدل على أننى خرقـت حفـظ سـرية بيانـات المريض ، برغم إننى تلقيت وعدًا صريحًـا مـن جهتـكم بـأن اسـمى لن يظهـر فى هـذه القضـية . سـوف يسـبب لى هـذا مشــاكل جمـة مـع النقـابة ومع مرضـاى . أمـس جـاء أبوهـا للمركـز وكـان ثـائرًا جدًا وتوعدنـى بـأن يرفـع قضـية علـى وهـى قضـية مضـمونـة النجـاح على كل حـال .

وإننى لأشعر فعلاً بأننى ارتكبت خطأ جسيمًا لكن لم يكن لدى خيار كما سبق أن أوضحت . أرجو أن تعيدوا التنبيه على ضباطكم أننى بعيد تمامًا عن هذه القضية .

د. شريف الدخيلى

طبيب نفسى ومدير مركز (النفس المطمئنة) ..

- 8 -

نص محادثة (شات) ببرنامج MSN بين علاء عبد العظيم وصديقه أشرف :

علاء : هل كل شيء على ما يرام ؟

أشرف : besara7a ana 3aoz attamin 3laik enta

علاء : أشرف .. طريقة الفرانكو آراب هذه تثير جنونى .. إما أن تكتب بالعربية أو الإنجليزية.

أشرف : kont 2l2an 3lik

علاء : قلت لك أرجوك .. بعد هذا سأغلق هذه النافذة .. لن أمضى بقية عمرى محاولاً فهم ما تكتبه .. لقد تقدمت فى العمر وشاب شعرى منذ بدأنا هذه المحادثة .

أشرف : لكنها أسهل .. ليكن ..

علاء : تسلم يدك .. لم أعد أتحمل استفزازًا أكثر .. أجد صعوبة فى النوم .. برنادت ليست على ما يرام لذا أظل ساهرًا جوارها .. التلفزيون سيئ لدرجة لا توصف .. سأذهب غدًا لشراء بعض الروايات ..

أشرف: أنت تعرف أن علاقتى بالقراءة انتهت بعد الكلية .. بإذن الله لن أقرأ حرفًا بقية حياتى سوى ما هو ضرورى للحياة .. قلت إننى قلق عليك بسبب هذه الأحداث . قرأنا أن هناك فتاة قبض عليها . هل هى ؟

علاء: طبعًا .. هبة سكرتيرة الجمعية .. يتهمونها بأنها مريضة نفسيًا وتريد الانتقام من حبيب سابق ، ويقولون إنها استأجرت قاتلاً محترفًا مهمته قتل كل طبيب مغترب يبدأ اسمه بحرف (عين) .. لاحظ أن اسمها لم يذكر بشكل واضح قط لأن أباها يملك نفوذًا لكنه غير قادر على تخليصها ..

أشرف: ورأيك أن هذا كلام فارغ ..

علاء: من قال هذا ؟

أشرف: أعرف لهجتك عندما تكون غير مقتنع ..

علاء: LOL .. فعلاً غير مقتنع .. هذه لقمة أكبر منى كى أبتلعها .. لا أصدق أن هذه الفتاة قادرة على تدبير هذا كله .. إنها تخطط وتتصل بقتلة مأجورين وتحدد الهدف ، ثم تدفع للفاعل بأوراق نقدية غير معلمة .. تخيلها تلبس نظارة سوداء ومعطفًا أسود ، وتمشى وحدها فى مرآب مظلم وفى يدها لفافة تبغ .. ثم تسمع صوتًا فتقول من دون أن تستدير : جئت متأخرًا .. هذا هو الجزء الأول من أتعابك ..

أشرف : LOL .. وهنا يقفز (مارك والـبرج) علـى الرجـل ويصرعه ..

علاء : أشرف .. BRB .. إن برنادت تريد شيئًا ما ..

علاء : نعم .. هل ما زلت هنا ؟..

أشرف : هل هى بخير ؟

علاء : تقىء فى الحمام كالعادة ولم تستطع أن تظل واقفةً على قدميها .. إنها لم تفعل هذا كله فى الحمل الأول . أعتقد أن للطعام المصرى دورًا أكبر من الحمل .. آسف لأننى أدخلتها الفراش وكان على أن أنظف هذا كله .. المسكينة حاولت لكنها لم تستطع التماسك وسقطت على ركبتيها فوق البلاط الملوث ..

أشرف : يع !

علاء : (يع فى عينك !) .. الحنان يجعلك لا تلاحظ هذه الأمور .. هذا هو السبب الوحيد الذى جعل أمهاتنا لا يشمئززن من حفاضاتنا الملوثة .. لأن الحنان يسد أنوفهن ويغشى عيونهن فلا يرين سوانا .. نعود لموضوعنا .. كنت أقول إن هذا الكلام صبيانى أكثر من اللازم ..

أشرف : جميل .. لكن معنى هذا أنك ما زلت فى خطر .. كلكم ما زلتم فى خطر ..

علاء : ربما .. الحقيقة إننى راغب فى السفر الآن أكثر من أى وقت ، لكن المشكلة هى أننى لن أعرف أبدًا .. رأيى الخاص أن التحقيقات سوف تستمر لفترة بلا طائل ، ثم تنقل الفتاة لمصحة وينسى الجميع القصة ..

أشرف : وجرائم القتل ؟

علاء : ستتوقف .. فى الحالين ستتوقف .. إما لأن الفتاة هى القاتلة ، وإما لأن القاتل يريد أن يورطها .. جريمة واحدة تحدث الآن تكفى لتبرئتها ..

أشرف : وماذا ستفعل ؟

علاء : لا أدرى .. لماذا يجب أن أفعل شيئًا ؟.. ليفعل ذلك سواى ..

أشرف : أتمنى لو صدقت هذا ، لكنك علاء عبد العظيم الذى كان أبى يكرهه بجنون .. أبى كان عبقريًا وكان يفهمك جيدًا .. زوجتى كذلك عبقرية وتمقتك كالشيطان .. يقولون إنك مصدر متاعب أينما حللت ..

علاء : حتى مصدر المتاعب يتعب ..

* * *

فاتورة من مكتبة (......)

الاسم : د. علاء عبد العظيم

الصنف : رواية (طيور العنبر) إبراهيم عبد المجيد ..... السعر ...

روايــة (د. جيفــاجـو) بوريس باسترنـاك ..... السعر ...

روايــة (أنيــاب الأسـد) د. نبيــل فــاروق ...... السعر ....

رواية (قاتل الحروف الأبجدية) أجاثا كرستى ...... السعر ...

المجموع ....

نشكرك على شرائك من مكتبتنا .

* * *

من تحقيق الشرطة :

س : اسمك وسنك وعنوانك ؟

ج : منال أحمد جودة .. 28 سنة .. زميلـة (هبـة أحمد) فى الجمعية .. مقيمة فى ......

س : تقولين إن لديك أقوالاً مهمة فى قضية (هبة أحمد) .. ما هى ؟

ج : (هبة) شخصية جميلـة رقيقـة وأنـا لا اصدق حرفـا ممـا نسب إليها ..

س : لا نريد انطباعات بل حقائق ..

ج : هى تعرف ظروفى .. أنا فقيرة جداً ومخطوبة ولا أقدر على استكمال نفقات الزواج .. لا أنا ولا خطيبى .. عرضت أن تساعدنى أكثر من مرة .. هل هذه نفسية قاتلة حقود ؟.. عرضت أن تساعدنى وكنت أرفض بعنف .. فى النهاية قالت لى إنها كانت تنفق الكثير من المال على .. على إدمانها .. قالت إنها ستعطينى ما كانت تنفقه على المخدرات .. أصررت على الرفض .. ثم جاءت ذات يوم تقول لى إنها راهنتنى على حدوث شىء معين .. شىء تمنت كثيراً أن يحدث وكانت تؤمن أنه لن يحدث .. لكنه حدث .. بهذا أنا كسبت الرهان . قلت لها إنها تهذى .. أنا لم أراهنها على شىء ، لكنها أصرت على أننى فزت وناولتنى ورقتين من فئة المائة دولار ..

س : ولماذا قبلت هذا المال ؟

ج : أعرف جيداً أنها طريقة أخرى لمساعدتى .. هذا كلام لاينطلى على طفل ، لكن ملمس الأوراق والتفكير فيما يعنيه هذا المبلغ جعلانى آخذه بلا تردد .. أقنعت نفسى أنها (حلوان) شىء ما تحقق لها .. لو نجحت فى الامتحان لدعوتها على

شىء تحبه . إذن المنطق واحد .. هى تمنت شيئًا وتحقق وتحتفل بهذا .. إنها خدع نفسية أقنع بها نفسى .. اعرف هذا .. لكنها خدع قوية جدًا وتحدد مسار حياتنا ..

س : وتكرر هذا المسلك ؟

ج : تكرر نحو أربع مرات ..

س : هل تتذكرين التاريخ فى كل مرة ؟

ج : بالطبع لا .. لكننا كنا ما بين منتصف أغسطس وأول أسبوع من سبتمبر .. هذا أرجح شىء ..

س : وماذا دفعك للقدوم هنا ؟

ج : فى الجمعية قالوا إنها كانت تسحب مبلغ 200 دولار فى كل مرة لتدفع أتعاب قاتل مأجور .. هذا كلام فارغ طبعًا .. أنا أعرف بدقة ما كانت تفعله بهذه الدولارات .. كانت تساعدنى بها ..

س : هل عندك فكرة عن الحدث الذى كانت تحتفل به بهذه الطريقة ؟

ج : لا أنكر أن هبة معقدة ولديها أوهام كثيرة .. تارة هى مليئة بالثقة وتارة هى كائن ضعيف هش محطم .. لكنها

أطيب وأرق فتاة عرفتها ، وكل هـذا الـذى يقولونـه عنها هراء .. هبة لن تقتل أبدًا .. هل تفهمون هذا ؟

س : لم تجيبى عن سؤالى .

ج : بصراحة .. أعتقد أنها كانت تسعد كلما مات واحد من الأطبـاء الذين يحملون حرف (عين) وجاءوا من الخارج .. كانت تشعر بأنها تنتقم من (عاصم) فى كل مرة .. كلما قـرأتْ الخبر فى الجريدة شعرتْ بأن القدر ينتقـم لها أو أن هـذه عدالة شعرية .. كانت تحتفل بهذا لكن لا علاقة لها به .. مـن حـق كـل إنسـان أن يجـن متـى أراد يـا سـيدى .. الاضطراب النفسى ليس جريمة ..

* * *

- 9 -

عزيزى أشرف :

كيف الحال ؟.. فعلاً وجدت أن القراءة خير تسلية للملل الذى أشعر به . إنها أهم اختراع فى التاريخ بعد النار .. يدور المرء ويبتعد لكنه يعود للكتاب حتمًا ..

اشتقت إلى عالم (أدهم صبرى) فعلاً .. وأعيد استكشاف عالم (باسترناك) الرائع فى تلك الرواية التى لم أقرأها ثانية منذ عشر سنوات . (إبراهيم عبد المجيد) كاتب ثقيل الوزن ومن المؤسف أننى لم أقرأ له شيئًا آخر .. لكنى توقفت طويلاً أمام رواية أجاثا كريستى ..

اسم الرواية (قاتل الحروف الأبجدية) وبطلها (هيركيول بوارو) المخبر العبقرى الأصلع بطل (كريستى) المفضل . هناك جرائم عجيبة تحدث بنمط معين .. فى المدينة الأولى التى يبدأ اسمها بحرف (أ) يقتل رجل أول حرف من اسمه (أ) .. فى المدينة الثانية التى تبدأ بحرف (ب) يقتل رجل يبدأ اسمه بحرف (ب) .. يعنى لو حدثت القصة فى مصر لكان أول قتيل اسمه (أحمد) فى

(الإسكندرية) ، ولكان الثانى (باسم) فى (بنها) ، والثالث (جمال) فى (جمصة) ثم (داود) فى (دمياط) .. إلخ ...

بالطبع يبحث رجال الشرطة عن هذا القاتل المجنون ، ويضيعون الكثير من الوقت فى الاستجواب والبحث .. هذا نمط ممتاز من القتلة المتتابعين الفنانين . لكن (بوارو) يفطن بعد قليل إلى أن فى الأمر خدعة ما .. لم يكن القاتل يعبث .. كان له هدف محدد منذ البداية وهو قتل رجل يبدأ اسمه بحرف (دال) فى بلدة تبدأ بحرف (دال) .. هكذا ينفذ جريمته ضمن خيط طويل من الجرائم الأبجدية .. النتيجة أن الشرطة لا تتهم أحدًا بالذات ..

لو أردت قتل (كمال) فى (كفر الزيات) فإن على أن أبدأ بسلسلة جرائم مستمرة حتى حرف (الكاف) .. هكذا يتجه الشك إلى القاتل المجنون لا لى ..

فكرة عبقرية جدًا كما ترى .. لكنها تطرح أسئلة أخرى .. أليس القتل الذى يبدو كأنه بغرض السرقة أسهل ؟.. هذه نقطة ضعف فى الرواية لكنك تقبلها ..

الآن تأمل تشابه هذه الرواية مع قصتنا هذه ..

هناك قاتل يفتك بالأطباء العائدين من الخارج الذين يحملون حرف (ع) فى بداية الاسم . هناك فتاة معقدة سوف يلصقون بها كل شيء أو كما نقول بالعامية (تشيل القضية) . لكن ماذا لو كان الغرض من هذا كله قتل طبيب واحد من هؤلاء ؟.. طبيب يحمل حرف (ع) فى بداية اسمه ..

تخيل أنك راغب فى قتل د. عباس .. ثم وجدت فتاة تكره كل الأطباء الذين يحملون حرف (ع) فى اسمهم .. ألن تستغل الفتاة ؟.. ألن تخطر لك هذه الفكرة ؟

طبعًا يمكنك أن تقتل د. عباس وتلصق التهمة بلص ، لكن ماذا لو كان موته لن يمر بسهولة ؟.. ماذا لو كان موته سيجلب لك الوبال ؟.. ألا تقرر وقتها استخدام هذه الحبكة المعقدة ؟

بصراحة الفكرة تطاردنى لكنى غير قادر على إثباتها ..

ما رأيك ؟

عـــــلاء

* * *

عزيزى علاء :

أنت تعرف رأيى .. أنت مجنون .. القصة واضحة كالشمس وأنت تحاول حجبها .. ربما كانت الفتاة أرق مما حسبته أنا أو أجمل ، لكن هذا لا يبرر كل هذه التعقيدات ..

لابد من أن تقدم لكلامك مبررات كافية . مثلاً أنا أتهم (ريا وسكينة) بقتل (كنيدى) .. أنا حر يا أخى .. لكن البينة على من ادعى ..

ما أخبار السفر ؟.. أريد أن ترحل بسرعة لأستريح .. لقد حان الوقت فأنت بدأت فى الهلوسة فعلاً..

أشرف

ع ع ع

صفحة من بحث طبى أجراه (علاء عبد العظيم) فى موقع Pubmed :

Search by Author

Search for Abdul Maksoud

■Maksoud Abdul, M, Tezer H, Haliloðlu G, Kara A, Seçmeer G. : Relapsing Herpes simplex virus encephalitis despite high-dose Viroststain therapy: a case report . Pediatr . 2006 Jul—Aug; 49) 4 : (380-2 . Related articles

■Maksoud Abdul M, Urbach H, Klockgether T. Synthesis and in vitro activities of a new antiviral duplex drug linking Viroststain and Foscarnet (PFA) via an octadecylglycerol residue . Bioorg Chem . 2005 Nov

Related Aricles

■Maksoud Abdul M, Suttorp AC, Kobbe P. : Cytomegalovirus colitis in an elderly patient with virastatin treatment . Med Wochenschr . 2005 Nov;133)46 : (2383-6 . Nov 4 . German .

Related Aricles

■Maksoud Abdul M, Gryspeerdt A, Croubels S, De Backer P, Nauwynck H. : Evaluation of orally administered Virastatin in experimentally EHV1-infected animals . Microbiol . 2004 Sep 21

* * *

عزيزى أشرف :

قمت ببحث مدقق عن أسماء القتلى على شبكة الإنترنت .. اثنان فقط منهم لهما أبحاث أكاديمية مهمة ، هما (عادل عبد المقصود) و(على القصراوى) . عادل عبد المقصود قتيل المنيل القادم من الولايات المتحدة ، والذى اتهموا السباك بقتله .. هل تذكره ؟.. أعتقد أنه باحث مهم جدًا فى الخارج .. لا أعرف لماذا لم نسمع عنه ، لكن لا كرامة لنبى فى وطنه .. لم نسمع عن (أحمد زويل) إلا عندما ملأت صوره شاشات التلفزيون والفضائيات .. فما الغريب هنا ؟

هذا الرجل ـ (عبد المقصود) ـ يعمل تقريبًا على موضوع واحد هو عقار (فيراستاتين) .. مضاد فيروسات اكتشفته شركة (فارما فيريون) وهى شركة سويسرية كبرى ، وتعقد عليه آمالاً كبرى بصدد القضاء على فيروس الإيدز والتهاب الكبد (ج) وغيرهما . يبدو أن الرجل كرس حياته لغرض واحد هو البرهنة على أن العقار عديم النفع وباهظ الثمن ومضر ..

هنـــاك نحو 12 بحثًا منشـورًا لـه فى مجـلات بالخارج حول هذا العقار .. النتيجة هى أن إدارة الغذاء والدواء FDA تنوى فعــلاً وقـف تسـويقه وسـحبه من الأسواق . هنـاك أكثر من مختبر يفحص هذا العقار ، معظم النتائج مشجعة ، ما عدا نتائج (عبد المقصود) .

الآن فكر معى ..

هذه الشركة أنفقت الملايين على هذا العقار عديم النفـع ، وكانت تنوى كسب المليارات . فجأة يظهر هذا الطبيب المزعج الذى لابد أن محاولات شرائه ورشوته فشلت كلها .. بينمـا على الأرجح نجحت هذه المحاولات مع الباحثين الآخرين .. إن المدى الذى يمكن أن تبلغه شركات الأدوية لتسويق منتجاتهـا لا يصدق ويدير الرءوس .. بدءًا بتجهيز عيادتك .. مرورًا بجعلك ترى العالم .. وشراء أغلى الهدايا .. هذه رشوة نظيفة جدًا لا يشعر أى من الطرفين أنها رشوة ، لكن من الواضح أن د. (عبد المقصود) كان شديد الحساسية لأمورٍ كهذه كأنـه قـاض نزيـه .. طبعًا أنت تخاطر بإفساد سمعتك لأنـه من الوارد أن يتهموك بـأنك تحابى

شركة منافسة ، أو يزعموا أنك طلبت رشوة وهم لم يقبلوا .. كل شىء وارد ..

فى الكاميرون رأيت محاولة قتل لعالم مناعة شهير كادت أبحاثه تؤذى سمعة شركة عملاقة لإنتاج الأمصال ، وكانت الطريقة المختارة هى سيارة بلا فرامل .. هؤلاء القوم يفعلون أى شىء .. هذا هو ما تعلمته فعلاً .. وقبل هذا رأيت محاولة تلفيق نتائج مسح طبى على مرضى الملاريا ..

عندما ولد جيل كامل من الأطفال بلا أذرع ولا أرجل نتيجة عقار (الثاليدوميد Thalidomide) اللعين ، فإن الشركة المنتجة له (جروننتال Grünenthal) بذلت مجهودات جبارة كى تقنع العلماء أن عقارها لا علاقة له بهذه التشوهات . لكن الحقيقة كانت أقوى من أن تحجب .. وهكذا فضحت الشركة واضطرت لدفع تعويضات عملاقة لأسر الأطفال المشوهين . والغريب أن ضغوط الشركة نجحت فى التسعينات من القرن الماضى وعاد العقار للظهور فى دول أفريقية كثيرة ، بعد اختفاء ثلاثين عامًا .. يمكن أن نتخيل كم ما دفع من أموال للحكومات فى تلك الدول كى تسمح بتسويق

عقار تعرف جيدًا أنه يؤدى لولادة أطفال بلا أذرع ولا أرجل ، كأنهم يرقات الحشرات .. على كل حال عاد العقار بشكل قانونى مؤخرًا لعلاج الجذام وسرطان النخاع تحت رقابة صارمة ..

لو قرأت صفحة الحوادث لوجدت جرائم قتل تتم من أجل خمسين جنيهًا ، فماذا عن مليارات الجنيهات ؟

هل فهمت ما أريد قوله ؟

* * *

عزيزى علاء:

كل هذا جميل .. لكن كيف تثبت حرفًا مما تقول ؟

- 10 -

تفريغ حوار مسجل بين العقيد (سيد البحيرى) والدكتور (علاء عبد العظيم) الطبيب المصرى الذى يعمل فى الكاميرون :

عقيد البحيرى : فعلاً يتكرر ظهورك في هذه القصة يا دكتور .. مرة أنت الضحية ومرة أنت شاهد ومرة تنذر الأطباء الآخرين بالخطر .. الآن تقدم لى هذه النظرية الغريبة ..

د. علاء : لكنى متأكد منها يا سيدى ..

عقيد البحيرى : أعرف أن تسجيل المحادثة يضايقك لكن هذه طريقتى .. اشرب الليمون أولاً..

د. علاء : شكرًا .. شربته ..

عقيد البحيرى : إذن أنت ترى أن هناك هدفًا واحدًا فقط لهذه الجرائم ..

د. علاء : بالتأكيد .. كل شىء حدث من أجل الضحية الثالثة ..

عقيد البحيرى : وكيف نثبت هذا ؟

د. علاء : لهذا طلبت رأيكم .. أنا لا أملك القدرة ، لكن نظريتى جديرة بالتأمل .. بصراحة لا اصدق حرفًا من نظرية الفتاة الموتورة التى تستأجر قتلة .. هذا جدير بفيلم أكشن غير متماسك المنطق ..

عقيد البحيرى : هل يمكنــك أن تراسل الجهات الأمريكيـة التـى تشرف على هذا العقار ؟

د. علاء : سأفعل .. لكنى جمعت بعض الأخبار التى نشرت عن الحادث فى الخارج . .. أعتقد أنها ستثير اهتمامك .

عقيد البحيرى : كل شىء يثير اهتمامى .. هذه القضية لزجة لا تنتهى وأنا بالفعل أرغب فى غلق هذا الملف على جواب مقنع يريح ضميرى .. فلنبق على اتصال بنا ..

* * *

خبر فى جريدة أمريكية :

تعليق أبحاث عقار الفيروسات الجديد بعد وفاة عالم الفيروسات

من الواضح أنه بمقتل عالم الفيروسات (عبد المقصود) ـ وهو من أصل مصرى ـ تكون قضية عقار (فيروستاتين) قد فقدت عنصراً مهمًا من قوة الدفع التى كانت تحركها . وقد توقفت الأبحاث الدوائية على العقار لأجل غير مسمى قد يسمح لشركة (فارما فيريون) بطرح الكميات التى كانت تخطط لبيعها فى السوق الأوروبية والأمريكية . بالفعل أعلنت إدارة الـ FDA أنها لن تتخذ إجراءات ضد العقار فى الوقت الحالى . يقول (أوتو جرنتال) مدير الشركة

بالولايات المتحدة إن مئات الأبحاث تؤكد سلامة العقار وفعاليته ، ومن غير المعقول الاعتماد على مصدر واحد .

إلى أن يتضح الأمر أكثر ، ما زالت الحكومة المصرية تحقق فى وفاة العالم الذى يحمل الجنسية الأمريكية ، والذى كان فى إجازة حيث وجد مقتولاً فى شقته التى يعيش فيها وحيدًا ، مع آثار سرقة . يبدو أن هذا القتل جاء ضمن سلسلة من حوادث القتل استهدفت أطباء مصريين يعملون بالخارج ، وهو ما يجعل مصرع (عبد المقصود) على الأرجح ليس شخصيًا وإنما حلقة من سلسلة طويلة لم تتضح أسبابها بعد. « هذه مؤامرة إسرائيلية « يقولها د. (محمود عيسى) الذى كان يعرف أحد القتلى ، والذى لا يحمل نية للتطبيع مع الدولة العبرية كما هو واضح « اليهود يحاولون حرمان العرب من عقول أبنائهم » . إن العرب يحبون نظرية المؤامرة على كل حال ، ومن المحتم أن تشير أصابع الاتهام إلى إسرائيل التى لها سابقة شهيرة مع علماء الصواريخ الذين استقدمهم ناصر فى الستينات ، لكنها على الأرجح لن تتجه أبدًا نحو (فارما فيريون) .

* * *

تفريغ حوار مسجل بين العقيد (سيد البحيرى) والدكتور (نجيب سليمان) أستاذ علم نفس الجريمة :

عقيد البحيرى : ما زلنا بحاجة لرأيك يا دكتور .. أنت زرت الفتاة (هبة) فى السجن الاحتياطى وأجريت لها أكثر من فحص .. ما رأيك ؟

د. نجيب : اضطراب نفسى ثنائى القطبية .. تتأرجح بين العنف والوهن والاكتئاب ، مع أعراض انسحاب مخدرات ..

عقيد البحيرى : سؤالى هو : هل هى قادرة على ارتكاب سلسلة الجرائم هذه ؟.. أو التحريض عليها ؟

د. نجيب : بشكل ما هى ارتكبتها فى اللا وعى .. وهى تعتقد أنها مسئولة عنها بشكل ما .. بالنسبة للعقل الباطن التمنى لا يختلف عن الفعل .. إن اللوعة الزائدة التى نشعر بها عند فقد عزيز قد تكون عقابًا لأنفسنا لأننا تمنينا الخلاص منه يومًا .. هكذا نشعر أننا شاركنا فى قتله ونعاقب أنفسنا ..

عقيد البحيرى : د. نجيب .. بصراحة هذه المتاهات النفسية لا تدخل دماغى .. سؤالى لك واضح باعتبارك خبيرًا نفسيًا انتدبناه لفحص الحالة .. هل الفتاة استأجرت قاتلاً للتخلص من هؤلاء أو فعلت هذا بنفسها ؟

د. نجيب : بالطبع لا ..

عقيد البحيرى : لكن الجرائم توقفت .. لدينا أكثر من طبيب يبدأ اسمه بحرف (عين) ولم يتعرض أحد لخطر .. ألا يعنى هذا أنها كانت المسئولة ؟

د. نجيب : فى الحالتين .. لو كانت مسئولة لتوقفت الجرائم، ولو كان هناك من يريد إلصاق الجرائم بها فمن مصلحته أن يتوقف ما دامت فى السجن .. هذا يلصق التهمة بها أكثر ..

عقيد البحيرى : إذن ليس لدينا سوى رأيك ...

د. نجيب : رأيى أنها لم تفعل ذلك .. هل أنتم قادرون على إثبات شىء ؟

عقيد البحيرى : لا .. هى تنكر ولا نجد أدلة سوى شهادة د. (شريف الدخيلى) ..

د. نجيب : أعرف (الدخيلى) جيدًا .. هو إنسان محترم لكنه لا يفقه شيئًا فى علم النفس .. هو مجرد شهاب إعلامى لامع لا أكثر .. هذا الرأى بيننا طبعًا ..

عقيد البحيرى : سوف أقضى وقتًا طويلاً حتى أجد ما يخالف مقولة (غريمك ابن كارك) هذه .. وما هو رأيك فيما يجب عمله مع هذه الآنسة المظلومة ؟

د. نجيب : أرى إطلاق سراحها طبعًا .. إن السجن يزيد حالتها سوءًا ..

عقيد البحيرى : وهل تضمن النتائج ؟

د. نجيب : من السهل على جهاز الداخلية العملاق أن يراقب فتاة لمدة ستة أشهر ..

عقيد البحيرى : سوف نطلق سراحها لكنى أريد تقريرًا مكتوبًا منك يؤكد هذا ..

د. نجيب : هذا عملى على كل حال ..

* * *

عزيزتى هبة :

أرجو ألا يكون بريدك الإلكترونى قد تغير .. عرفت بالقصة وبأنك شبه سجينة فى مصر بتهمة لا يمكن أن ترتكبيها .. بصراحة هذه قسوة بالغة .. أنا أعرفك وأعرف أنك عشت أيامًا قاسية بالفعل ..

لا أنسى أبدًا أننى السبب .. أنا السبب ..

أنا عائد لمصر خلال يومين .. لم يعد هناك ما يربطني هنا ، فقد انفصلت عن (ماهى) . تعرفين أنني تزوجت (ماهى) صديقتك ، لكنها كانت تختلف عنك فى كل شىء .. الطيور لا تقع على أشكالها أبدًا فى مصر كما هو واضح . قلت إنك لست من طرازى والحقيقة إنها لم تكن من طرازى كذلك . حياتنا فى الولايات المتحدة كانت هى الجحيم بعينه . أحب أن أعتقد أننى رجل قاس عملى لا يولى انتباهًا للحب والعاطفة ، لكنى اكتشفت هناك أنني غير راغب فى الاستمرار .. الحياة دون أمل فى أن تحِب أو تُحَب هى الجحيم .

سوف أعود لك وأطلب الغفران .. لا أعرف رد فعلك وعلى الأرجح سيكون عنيفًا ، لكن كلى أمل فى قلبك الكبير .. من تعطف على القطط الصغيرة بهذه الطريقة لن تقسو على ابن ضال عاد بعد ضياع ..

سوف أعتذر كثيرًا جدًّا وبعدها تقررين مصيرى .. حب أو لا حب .. حياة أم لا حياة ..

المحب للأبد

عاصم عبد الرحمن

* * *

عاصم :

أنا لن أعود لك أرجوك لا تحاول لا تحاول يا عاصم أنت جرحتنى كثيرًا كثيرًا لا تحاول أرجوك أن تعود فأنا لن أعود أرجوك يا عاصم دعنى وشأنى أنا تعسة ولا أحد يحبنى أرجوك لا تحاول لا تحاول يا عاصم أنت جرحتنى كثيرًا كثيرًا لا تحاول أنا لن أعود لك أرجوك لا تحاول يا عاصم أنت جرحتنى كثيرًا أنا تعسة ولا أحد يريدنى أبى يكرهنى أمى لا تريد أرجوك لا تحاول لا تحاول .

هبـــة

* * *

بطاقة دعوة أنيقة على ورق مصقول :

عزيزى د. عاصم عبد الرحمن :

نتشرف بأن نوجه لكم الدعوة لحضور المؤتمر الثالث لجمعية (أطباؤنا فى الخارج) والذى يحاول أن يربط عرى الصداقة والتعارف بين الأطباء أبناء وطننا الحبيب ، أولئك الذين اختاروا العمل أو الدراسة فى الخارج . ولسوف نتشرف بحضوركم فى حالة القبول فى قاعة (..) بنادى (..) الساعة الثامنة مساء يوم الثلاثاء القادم .

جمعيتنا جمعية أهلية لا علاقة لها بالحكومة ولا إدارات البعثات أو وزارة الخارجية ، وبهذا نحن نفتقر إلى الشكل الرسمي لكننا لا نفتقر إلى الفعالية .

وتفضلوا بقبول وافر الشكر .

نائب رئيس الجمعية

محمد التوني

- 11 -

تقرير الرائد (عماد الغنام) عن الحادث :

بناءً على توجيهات السيد العميد (إبراهيم حمدى) ، قمت بإجراء التحريات اللازمة وترتيب مراقبة دورية على المدعوة (هبة أحمد نافع) منذ لحظة مغادرتها الحجز الاحتياطى .

بناءً على التقارير لم تكن تغادر دارها الكائنة فى (..........) تقريبًا ولا تتلقى زيارات . حتى يوم 28 / 9 عندما غادرت بيتها واستقلت سيارة أجرة أخذتها إلى كافتيريا فى حى المهندسين . هناك قابلت المدعو (عاصم عبد الرحمن) الذى بينت التحريات أنه طبيب يعمل بالولايات المتحدة وفى إجازة حاليًا ، وقد استمرت المقابلة نصف ساعة بعدها خرجت وهى تبكى بينما المذكور يحاول اللحاق بها .

على باب الكافتيريا توقف لحظة ليلتقط أنفاسه ..هنا رأى المخبر المكلف بالمراقبة رجلاً فى منتصف العمر يرتدى (سويتر) رمادى اللون ، ويضع يده فى جيبه ويعرج قليلاً فى مشيته . رآه يتقدم من المذكور ويتبادل معه كلمة كأنه يسأله عن شىء ، وفجأة أخرج مسدسًا كاتمًا للصوت وأفرغ طلقة فى رأسه . ليسقط أمام باب الكافتريا أمام المارة الذين أصابهم الذعر .

على الفور أخرج المخبر (بيومى عوض الله) مسدسه الحكومى وأطلق طلقة على الجانى أصابته فى صدره ، فلم يكن هناك وقت للطلقات التحذيرية فى الهواء أو التصويب على الساقين لأن الجانى كان يحمل مسدسًا وأطلق منه الرصاص فعلاً . لكن الجانى تحامل على نفسه واندفع نحو سيارة رمادية مفتوحة الباب اتضح أنها تنتظره منذ البداية ، لكنه عبر الشارع بلا حذر وهكذا دهمته سيارة طراز (تويوتا) رقم (..........) مندفعة . وأردته أرضًا . نقل إلى المستشفى فورًا وهو فى حالة خطرة حاليًا .

كانت أوراق المتهم تشير إلى أن اسمه (ناصر المنياوى) وهو فى سن الأربعين ومحاسب . وقد تبين أنه يحمل مسدسًا ألمانى الصنع مزودًا بفوهة طويلة لكاتم صوت .

أما الفتاة فقد دخلت فى حالة هستيرية وراحت تضحك وتبكى ، وقد تم نقلها للمستشفى .

* * *

كلمات كتبتها (هبة نافع) على أوراق مفكرة نسيتها فى المستشفى :

لقـد عـاد ..

لكنى فقدته فى اللحظة التى عاد فيها ..

قال الملك : (جعفر) عدوى فاقتلوه عندما تظفرون به ..

قال الملك : لقد صفحت عن (جعفر) ..

لكن كلمته تلك لم تبلغ مسامع الحراس ..

لقد فتكوا بـ (جعفر) عندما قابلوه برغم أن الملك صفح عنه ..

لقد صفحت عنك يا (عاصم) ..

لكن الأقدار أرادت أن تنتقم لى ..

وعندما رقدت على الأسفلت والدم ينز من جبهتك ..

قلت لنفسى : لقد صفحت عنه ، لكن موعد الموت لم يتبدل ..

كـان السـهم قد انطلق ولـم تعد قـوة فـى الأرض تقـدر علـى إرجاعه إلى قرابه ..

* * *

صفحة الحوادث بجريدة (..........) :

محمد حمزة : توفى أمس فى المستشفى (مراد العدوى) القاتل المحترف الذى أصيب فى المهندسين أول من أمس بعد قيامه باغتيال د. (عاصم عبد الرحمن) . وكان المتوفى قد أطلق الرصاص على القتيل وحاول الهرب ، لكن مخبرًا أطلق عليه الرصاص فى موقع الحادث .

تبين أنه يحمل بطاقة شخصية مزورة باسم (ناصر المنياوى) محاسب ، وبرغم سوء حالته فإنه قد أدلى ببعض البيانات التى تؤكد أنه قام بقتل خمسة أطباء قبل الضحية الأخيرة ، وفشل فى قتل السادس بالإسكندرية . وقد أدى هذا إلى إصابته فى ساقه مع عرج واضح . المتوفى كان يمارس القتل بالأجر من حين لآخر قبل العملية الأخيرة .

اتهم القاتل من يدعى (روجر إيبرت) ألمانى الجنسية موجود فى القاهرة بأنه هو من أصدر له أوامر القتل مع بيانات كاملة عن أماكن تواجد الهدف وأعطاه السلاح المستخدم . كما كان هناك من يراقب الهدف معه وينتظره بسيارة للفرار فور انتهاء العملية .

* * *

عزيزى أشرف :

هكذا تتضح القصة كلها . كما قلت لك كانت النية مبيتة لقتل د. (عبد المقصود) وقرر من خطط للعملية أن تتم فى مصر . توقع الكل أن تسبب الجريمة ضوضاء والكثير من العواصف مع توجيه أصابع الاتهام لشركة (فارما فيريون) . هكذا جاء المستر (روجر إيبرت) إلى مصر وظل ينتظر وينتظر الفرصة المناسبة .. فى هذه الفترة سمع عن جمعية الأطباء بالخارج تلك ، وكون صداقة مع سكرتيرها (محمد التونى) . هنا سمع قصة غريبة .. قصة سكرتيرة أصيبت بصدمة عاطفية تقترب من الذهان الكامل بسبب طبيب اسمه (عاصم) يعمل بالخارج .. هنا بدأت الخطة تختمر فى ذهن (إيبرت) . يمكنه الحصول على معلومات كاملة عن كل الوافدين المصريين من الجمعية ، ويمكنه أن يجعل القصة كلها تبدو كأنها قاتل تتابعى مجنون .. سوف تتجه أصابع الاتهام للفتاة بسهولة تامة ..

استطاع أن يجد قاتلاً بارد الأعصاب يجيد عمله ، وقد أعطاه سلاحًا جيدًا للتنفيذ . أوصاه بأن يسرق كلما أمكنه ذلك لأن هذا يزيد من تخبط رجال الشرطة وحيرتهم .

هكذا بدأ قتل أول ضحية لا علاقة لها بالأمر سوى أن اسمها يبدأ بحرف العين : عصام مصطفى . بعدها جاء دور عزمى

اسكندر .. الآن جاء دور د.عادل عبد المقصود نفسه وهو الهدف الأساسى لهذا كله ، لكن (إيبرت) لم يتوقف وإلا لهدم نظرية القاتل المجنون كلها . هكذا جاء دورى ونجوت بمعجزة ما .. ثم جاء دور على القصراوى ثم عوض لوقا الذى نجا بالعناية الإلهية ثم سرعة استجابته (أحب كذلك أن أعتقد أن تحذيرى لعب دورًا فى تحفزه وزيادة حذره) .. بعد هذا أعتقد أنه قرر التوقف عن تمثيلية القتل ، لكن الفتاة خرجت من السجن وصار من المناسب تنفيذ جريمة أخيرة .. هذه المرة قتل بالصدفة الشخص الصحيح .. حبيب الفتاة السابق .. .

لكنها كانت آخر عملية فعلاً ، لأن القاتل الحذر سقط هذه المرة .. لم يعرف أن الفتاة مراقبة بعناية وأن هناك مخبرًا على مرمى حجر منه ..

سوف يتكلم (إيبرت) وسوف يحكى الكثير .. لكن على الأرجح لن نعرف نتائج التحقيقات الأخيرة لأنها ستكون سرية ..

لكن هناك فكرة تطاردنى ...

هل مصرع (عاصم عبد الرحمن) فعلاً مجرد صدفة مؤسفة كأنها نموذج لقصة (موعد فى سمارة) الشهيرة ؟.. المفترض

أن القاتل كان يتبع (عاصم) والشرطة كانت تتبع الفتاة .. ثم تم اللقاء فى تلك الكافيتريا . هل حقاً جاء القاتل بالصدفة ؟..

ماذا لو كان القتيل الأخير (عاصم) مات خارج المخطط ؟.. أعنى أن يكون طرفاً آخر غير (إيبرت) هو الذى كلف القاتل بالمهمة ؟.. هل كانت الفتاة تعرف أكثر مما نتوقع واستطاعت الاتصال بالقاتل لينفذ لها عملية أخيرة ؟..

ماذا لو فكرت فى دس جريمة حقيقية وسط سلسلة الجرائم التى تلصق بالقاتل التتابعى ؟.. نفس المنطق الذى دس به (إيبرت) جريمة حقيقية وسط جرائم أراد إلصاقها بها ؟.. لماذا ركضت خارج الكافتيريا كأنها تخلى للقاتل مجال التصويب ؟.. ما معنى هذه الورقة التى تركتها فى المستشفى فى مكان واضح ، والتى نشرتها كل الصحف ؟.. لا أحد يتخلص من خواطره المهمة بهذا الإهمال .. هل أرادت أن يقرأ الجميع أنها لم تدبر شيئاً ؟

ربما هو انتقام متأخر جداً ..

هل الفتاة أذكى مما نعتقد ؟

هذه الفكرة تطاردنى بشدة ، ولكن كيف يمكن أن أثبتها ؟

علاء

* * *

عزيزى علاء:

أنت موشك على الجنون .. كف عن هذه الخواطر المخبولة واستعد للسفر .. أنت متعب سواءً كان الخطر يتهددك أم لا .. نسيت أن أقول لك إن أمى كذلك لم تكن تطيقك .. كانت ترى أنك المشاكل تمشى على قدمين .

أشرف

ﻉ ﻉ ﻉ

فقرة من برنامج إذاعى :

وفى صالة المغادرة بميناء القاهرة الجوى ، قابلت هذا الشاب المصرى وزوجته .. يبدو أنها أجنبية .. مساء الخير يا سيدى .. هل لنا أن نتعرف ؟

- د. علاء عبد العظيم .. هذه زوجتى (برنادت) .. تنتظر حدثًا سعيدًا لكنها فى البداية ..

- مبروك .. لكن إلى أين السفر ؟

- كندا .. بلدها الأصلى ..

- ما رأيك فى تجربة الزواج من أجنبية ؟

- المهم أن ينجح الزواج وأن يبقى المرء حيًا لفترة تكفى لتكوين أسرة .. على فكرة زوجتى تفهم الكثير من العربية فلا تأخذى راحتك !

- معذرة .. لم أفهم هذا الجزء .. ما معنى البقاء حيًا ؟

- إن شرح هذا يطول يا سيدتى .. لو حكيت لك كل شىء لفاتتنا الطائرة .. فقط دعينى أؤكد لك إننى مقبل على تجربة مهمة .. ربما أهم تجربة فى حياتى ..

- هل سمعت عن جرائم قتل الأطباء التى تتحدث عنها الإشاعات مؤخرًا ؟.. بالطبع مصر بلد الأمن والأمان ولا صحة لهذا كله ..

- فعلاً .. هى مجرد نفوس مريضة تختلق الخرافات .. لا أعرف من أين يأتون بهذه الأساطير .. تحياتى لك والمستمعين وإلى اللقاء ..

- بالسلامة يا دكتور .. بالسلامة يا مدام..

تمت بحمد الله

روايات مصرية للجيب

سافارى

مغامرات طبيب شاب يجاهد
كى يظل حيًا وكى يظل طبيبًا

هُمْ

د. أحمد خالد توفيق

أكره أن أفسد فرحتك يا (علاء) بالعودة . لكن ألم تفكر لحظة فى معنى هذا كله ؟
كل شىء مريب .. كل شىء له رائحة عطنة تثير القلق والتوجس فى النفس ..
ألم تسأل نفسك (من هم ؟) .. ألم تتساءل عن هدفهم ؟ .. أكره أن أفسد نشوتك ، وسرورك بلقاء الأهل .. لكن نصيحتى الوحيدة لك هى أن تفر ..
تفر كأن الشيطان يطاردك ...

العدد القادم

إلى الشمال

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع القاهرة والإسكندرية

الثمن فى مصر 400
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم